محاجة مع المستشرق البروفسور

أوري روبين Uri Rubin

بشأن بطلان مسلماته التوراتية عن حياة رسول الله ﷺ في كتابه الموسوم

عين الناظر:حياة محمد ﷺ كما يراها المسلمون الأوائل

أ.د.عبد الجبار ناجي الياسري

ملخص البحث

المستشرقون اليهود اشتهروا بكونهم من أوائل الذين بادروا إلى ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة العبرية واللغات الأوروبية. وكان مسعى هؤلاء -في عملهم هذا- لأجل تحقيق أهداف ثقافية ودينية، وربما سياسية أيضاً، من وراء تلك الترجمات. وقد حظيت هذه الترجمات بأهمّية ملحوظة، وأحدثت تياراً علمياً هامّاً في الدراسات التاريخية وغيرها؛ غير أنها -واقعيا- قد وفرت للمستشرقين اليهود وغير اليهود ترجمات مضللة؛ لأنها في الأساس قد اشتملت على أغلاطٍ وعلى خَلْط في الموضوعات والمطالب والمصاديق، الأمر الذي كان له التأثير العميق في الدراسات الإسلامية في الغرب. فكان هناك كثير من سوء الفهم والتسرّع في استخلاص النتائج، وسطحية ناشئة عن الترجمات الخاطئة للقرآن الكريم في أوروبا.

بقيت هذه الرؤية التوراتية سائدة في دراسات المستشرقين اليهود في أوربا الوسطى بعد دراسة جيجر وريكندروف متمثلة بما قام بدراسته المستشرق إغناز جولدتسيهر Ignaz Goldziher في كتابه المعروف Uber Muhammadanische Polemikm gegen Ahl—kitab بمعنى «نبذة عن الجدل المحمدي ضد أهل الكتاب»، ودراسة المستشرق الألماني جوزيف هوروفتز Josef Horovitz أسطورة محمد zur Muham-madlegende والمستشرق الألماني الآخر رودولف زلهايم Rudolf Sellheim ، والبروفسور اليهودي الألماني هائيم زيف هيرشبرغ Haim Zeef Hirschberg المتوفى سنة ١٩٧٦، والمستشرق كارل هاينز أوهلغ Karl-Heinz Ohlig ، ومايكل لسكير Michael M. Laskier ، والبروفسور مايكل كوك وغيرهم.

وقبالة هذا الاتجاه اليهودي المتعصب شهدت أوربا الوسطى ظهور تيار واتجاه آخر تمثل بدراسة الأحاديث النبوية والروايات الإسلامية الشفاهية منها، المدوّنة في مؤلفات السيرة النبوية المطهرة وتحليل ذلك، وهو موضوع مهم جدا جئت على دراسة أهم محاوره وأشهر المستشرقين الألمان وغير الألمان في الكتاب الذي صدر حديثا بعنوان: «جدلية جمع القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر» [١]*.

١)* لقد اعتمدت في ترجمة الآيات القرآنية الكريمة على « القرآن الكريم وترجمة معانيه إلى اللغة الإنجليزية The Noble Qur'an " من قبل الدكتور محمد تقي الدين الهلالي والدكتور محمد محسن خان (المدينة المنورة).

The Jewish orientalists were famous for being among the first to translate the Noble Qur'an into Hebrew and European languages. It was their endeavor in their work in order to achieve cultural, religious, and perhaps political goals as well, behind these translations. These translations have gained remarkable importance and created an important scientific current in historical and other studies. Realistically, however, it provided misleading translations for Jewish and non-Jewish Orientalists, because they mainly included errors and confusion of subjects, demands and validations, which had a profound impact on Islamic studies in the West. There was a lot of misunderstanding, haste to draw conclusions, and superficiality arising from the wrong translations of the Holy Qur'an in Europe.

This biblical view remained prevalent in the studies of Jewish orientalists in Central Europe after the study of Geiger and Reikendorf exemplified by the study of the orientalist Ignaz Goldziher in his well-known book Uber Muhammadanische Polemikm gegen Ahl-kitab meaning "An overview of the Muhammadan controversy against the People of the Book" and the study of the German orientalist Joef Josef Horovitz, the legend of Muhammad zur Muhammadlegende and the other German orientalist Rudolf Sellheim; and the German Jewish professor, Haim Zeef Hirschberg, who died in 1976; The orientalist Karl-Heinz Ohlig; Michael M. Laskier, Professor Michael Cook and others.

In contrast to this fanatical Jewish trend, Central Europe witnessed the emergence of a current and another trend represented by studying and analyzing the hadiths of the Prophet and the oral Islam

المقدمة

هـذا البحـث المتواضـع يسـلط الضـوء عـلى محاججـة لمسـتشرق يهـودي عـرض رؤيتـه التـي هـي رؤيـة أكثـر المسـتشرقين اليهـود عـن بعـض المفاصـل المهمـة مـن حيـاة رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم)، فـلا غـرو مـن القـول: إن موضـوع السـيرة النبويـة المطهـرة وحيـاة رسـول الله ﷺ يعـدّان مـن الموضوعـات الرئيسـة التـي تكثّفـت حولهـا الدراسـات الاسـتشراقية وانشـدّت إليهـا أقـلام المسـتشرقين مـن مؤرخـين وأدبـاء وفلاسـفة منـذ زمـن طويـل جـدا يرجـع إلى زمـن الحـروب الصليبيـة وعـصر النهضـة الأوربيـة في القـرن السـادس عـشر الميـلادي. وواقعـا فلعلنـا لا نغـالي بالقـول: إننـا نـادراً مـا نقـرأ في مسـاهمة أي مسـتشرق عـن التاريـخ الإسـلامي ولا نجـده يتنـاول حيـاة الرسـول ﷺ وشـخصيته وسـيرته، أو يتحـدث عـن الدعـوة الإسـلامية في سـنواتها الأولى، سـواء أكان ذلـك عـن طريـق تأليـف كتـب مسـتقلة عنـه ﷺ أم بتخصيـص فصـول كاملـة مـن دراسـاتهم ومؤلفاتهـم عـن التاريـخ الإسـلامي بصـورة عامـة.

وقـد اختلفـت رؤى المسـتشرقين والمبشريـن منـذ بدايـة الاهتـمام بدراسـة السـيرة النبويـة بـين رؤى متعصبـة وسـلبية ومجحفـة لاسـيما في العـصر الكنسـي، إلى رؤى عقلانيـة -إلى حـدّ مـا- أنتجهـا عـصر مـا بعـد عـصر الكنيسـة، تلـك المتمثلـة بتطـور مناهـج البحـث العلمـي للعلـوم عامـة، ولعلـم التاريـخ خاصـة، وكذلـك لمـا تـمّ اكتشـافه مـن مخطوطـات إسـلامية تقـع ضمـن محـور مجموعـة مؤلفـات التاريـخ والطبقـات والحديـث والتفسـير والأدب واللغـة، وتلـك المصنفـات لا بـدّ أنهـا وفـرّت للمسـتشرقين الأوربيـين حشـدا لا يسـتهان بـه مـن الأدلـة والاسـتشهادات والروايـات المسـاعدة في تثبيـت تأويلاتهـم ومواقفهـم المغايـرة لتأويـلات العقليـة الكنسـية التـي سـادت خـلال العصـور الأوربيـة المظلمـة، بـما لـه علاقـة بالسـيرة النبويـة وحيـاة رسـول الله ﷺ والقـرآن الكريـم والحديـث النبـوي الشريـف.

وقـد أشـار بعـض المسـتشرقين إلى أهـم الدوافـع التـي شـجعت عـلى ظهـور مثـل هـذه القصـص الخرافيـة والتفسـيرات الحاقـدة في العـصر الكنسـي؛ إذ إنهـا كانـت تسـتغل بوصفهـا محفـزات فعّالـة لإمـداد الجنـدي أو المقاتـل الصليبـي في سـاحة المعركـة. ومـع كل ذلـك فـإن تلـك الكتابـات قـد أنتجـت آثـاراً بعيـدة وسـيئة مـا زالـت إلى الآن تحتـل مكانـة غـير قليلـة الأهميـة مـن حيـث رسـوخها وثبوتهـا في عقليـة الفـرد الأوربي. وربّ سـائلٍ يسـتوقفه سـؤال عـن السـبب أو مجموعـة الأسـباب التـي دفعـت بالمسـتشرقين إلى هـذا الاهتـمام بتاريـخ السـيرة النبويـة الشريفـة، وهـو سـؤال يرتبـط ارتباطـا أساسـيا بـ:

أولا: التطور السريع الذي شهدته الدراسات التاريخية العربية والإسلامية، والغربية على حدّ سواء.

وثانيا: وكما عبّر عنه المستشرق الأسكتلندي مونتغمري وات والمستشرق الإيطالي غبريلي بقولهما: «كان الإسلام لقرون عديدة هو العدو الأكبر للعالم المسيحي»، لذلك فقد توجه المستشرقون إلى دراسة الإسلام عقديّا وسياسيّا وحضاريّا واقتصاديّا. فالمدارس الاستشراقية بصورة عامة الأوربية منها والأمريكية قد تأثرت في تطورها ونموها عبر التاريخ بالمستجدات والظروف التاريخية والسياسية والاقتصادية، ومن ثمّ الفكرية التي سادت العالم وبالأخص ما يتعلق منها بالمنطقة التي يقع ضمن جغرافيتها مهد الإسلام ومهد مولد الرسول العظيم ﷺ.

فقبل أكثر من قرن ونصف من الآن انشغل مجموعة من العلماء الغربيين من الألمان بالمتابعة والتقصي للروايات التاريخية والحديثية المتواجدة في ما تمّ تحقيقه آنذاك من المؤلفات التي تعرف بالصحاح والسنن والمصاحف، والحقيقة أن عدد المحقَّق من هذه المؤلفات كان آنذاك غير قليل، إذ نجح –بامتياز– المستشرق الهولندي أرند جان فِنْسِنْك حين اعتمد في كتابه الرائع (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) على ستة من تلك الصحاح والمساند في تخريجه الأحاديث الشريفة، فاستخدمت في جمع الروايات الحديثية عن العملية الكبرى في الإسلام ألا وهي السيرة النبوية الشريفة وجمع القرآن الكريم والدراسات القرآنية. وكنّا في بداية الأمر نعزو اهتمام المستشرقين الألمان في هذا المضمار يرجع فضله إلى المستشرق المعروف (ثيودور نولدكه Th.Noldeke) الذي بادر إلى تأليف كتاب مهم جدا ما زال العلماءُ الغربيون والعرب والمسلمون يعتمدونه عند الكتابة أو المحاضرة أو الحديث عن تاريخ القرآن الكريم ألا وهو كتاب (تاريخ القرآن Geschichte des Qurans المطبوع في سنة ١٨٦٠م).

وحقيقة فإن الدراسات الغربية قد أولت اهتماما يعدّ من بين الاهتمامات الرئيسة في دراساتها الإنسانية عن سيرة حياة سيد المرسلين محمد المصطفى ﷺ منذ القرن السادس عشر للميلاد [وهو موضوع قد حققت فيه دراسة مفصلة هي الآن تحت الطبع]، على الرغم من أن بدايات اهتمام المستشرقين هذا كان سلبيا ومؤذيا لا يقل إيذاءً وغطرسة عن موقف المكيين في مكة المكرمة عند بعثته ﷺ وبعدها. وقد عبّر رسول الله ﷺ تعبيرا مباشرا إزاء إيذاء قريش في مكة حين قال ﷺ: (ما أوذي أحد مثل ما أوذيت في الله)، أو كما ورد في رواية أخرى قوله ﷺ: (ما أوذي نبي بمثل ما أوذيت). وقال عزّ من قائل: ﴿ **وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ** ﴾ سورة البقرة الآية ١٢٠ ﴾. فقد قاسى ﷺ من قومه الأمرّين، فكم تأذى الأنبياء عليهم السلام من قومهم، لكن كل ذلك لم يبلغ الأذيّة التي تعرض لها نبي الإسلام منذ بداية أمره إلى نهايته، وكأنها سنّة في حياة قومه،

وقد ختمها أحدهم بقوله: (إن رسول الله ليهجر). سبحان الله، فلقد بدأ المستشرق الأسكتلندي المتخصص في دراساته عن رسول الله ﷺ إذ يقول في كتابه (محمد في المدينة) واصفاً عدوانية الكتابات التبشيرية الحاقدة ضد النبي ﷺ إذ قال ضمن موضوع «الإخفاقات الأخلاقية المزعومة The alleged moral failures» من كتابه هذا ما نصّه باللغة الإنجليزية:

(Of all world's great men none has been so much maligned as Muhammad. For centuries Islam was the great enemy of Christendom)(32).

وترجمة هذا النصّ هي: (ليس هنالك بين جميع الرجال العظام في العالم شخصية قد أُفتُرِيَ عليها أو أوذيت كما أوذي النبي محمد ﷺ. فكان الإسلام لقرون عديدة العدو الأكبر للعالم المسيحي)[1].

فالمستشرق مونتغمري وات William Montgomery Watt المتوفى في سنة ٢٠٠٦ مؤرخ اسكتلندي ومستشرق وقسّ أنجليكاني وأكاديمي. ومنذ عام ١٩٦٤ إلى ١٩٧٩ كان أستاذا للدراسات العربية والإسلامية في جامعة إدنبرة. وكان وات من أوائل المترجمين غير المسلمين للإسلام في الغرب، واعتمادا على كارول هيلينبراند Carole Hillenbrand الذي وصفه قائلا: «إنه كان باحثا مؤثرا بشكل كبير في مجال الدراسات الإسلامية وهواسم يحظى باحترام كثير من قبل العرب والمسلمين في جميع أنحاء العالم»[2].

وعلى الرغم من أنه قد عُيّن في مرحلة مبكرة من عمره شماسا في الكنيسة الأسقفية Episcopal الأسكتلندية في سنة ١٩٣٩ ثم صار قسّا بعد سنة، وخدم بوصفه راعيا للأبرشية في لندن من تلك السنة حتى سنة ١٩٤٣، فهو منذ سنة ١٩٤٣ إلى سنة ١٩٤٦ كان قد خدم بصفته مختصا في اللغة العربية للاسقف الانجليكاني في القدس. وبعد عودته إلى الأوساط الأكاديمية في عام ١٩٤٦، لم يعقد مرة أخرى موعدًا دينيًا بدوام كامل. ومع ذلك، واصل عمله بدوام جزئي وشرفي من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٦٠، كان شرفيًا في مدرسة القديس بولس القديمة في إدنبرة، وهي كنيسة أنجلو كاثوليكية في إدنبرة. وأصبح عضوا في مجتمع Iona المسكوني في اسكتلندا في عام ١٩٦٠. من عام ١٩٦٠ إلى عام ١٩٦٧، وكان هو المنسق الفخري في سانت كولومبا باي كاسل، بالقرب من قلعة إدنبرة، بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٣، بعد تقاعده من الأوساط الأكاديمية، وكان شرفيًا في كنيسة القديسة مريم العذراء، ودالكيث وكنيسة سانت ليونارد، لاسوادي. فإنه كان في مؤلفاته عن رسول الله ﷺ نظير (محمد في مكةMuhammad at Mecca 1953)و (محمد في المدينة Muhammad at Medina (١٩٥٦)) و (محمد النبي ورجل الدولة 1961)(Muhammad: Prophet and Statesman) و (محمد: خاتم الأنبياء –Mu

hammad: Seal of the Prophets) و (مكة محمد 1988)(Muhammad's Mecca) يصوّر رسول الله ﷺ بأنه واحد من أعظم أبناء آدم ﷺ، إنه خاتم الأنبياء بمعنى أنه أعظم نبي بين الأنبياء.

Montgomery Watt calls Muhammad, one of the Greatest sons of Adam. The expression, seal of the Prophets means the Greatest Prophet.

تقول عنه كارول وهي بمرتبة أستاذ في التاريخ الإسلامي في جامعة إدنبرة: إن وات «لم يكن خائفًا من التعبير عن آراء لاهوتية متطرفة إلى حدّ ما، وهي آراء مثيرة للجدل في بعض الدوائر الكنسية المسيحية. وكان يفكر في كثير من الأحيان في مسألة ألا وهي ما مدى تأثير دراسته للإسلام في عقيدته المسيحية. وكنتيجة مباشرة، فقد توصل إلى نتيجة في أن يحاجج بأن التشديد والتأكيد الإسلامي على وحدانية الله المطلقة قد أدّت به إلى أن يعيد النظر في العقيدة المسيحية الثالوثية، تلك التي تعرضت إلى هجوم قوي في القرآن على أنها تقويض للتوحيد الحقيقي. فقد تأثر بالإسلام، وبأسماء الله التسعة والتسعين وكل اسم منها يعبّر عن صفات مميزة خاصة بالله (عز وجل). فهو يعتقد بأن الثالوث المسيحي يمثل ثلاثة «وجوه» مختلفة لله الواحد وهو الله ذاته»[٣].

قبالة هذا المسح المختصر الهادف لسيرة المستشرق الاسكتلندي مونتغمري وات لعلّ من الصواب المقارنة بينه وبين المستشرق اليهودي أوري (أو يوري) روبين وهو من المستشرقين المعاصرين للمستشرق وات أيضا، مع أن فترة نشاطاته العلمية وإصداراته قد تحققت بين سنة ١٩٩٥ حتى سنة ٢٠١١، بمعنى أنه في دراساته أكثر معاصرة من دراسات مونتغمري وات. والفارق البيّن جدا في توجههما وأهدافهما وفلسفتهما هو كما ذكرنا آنفا، فإن البروفسور وات على الرغم من أنه كان بعد تقاعده عن العمل الجامعي يمارس خدمته الكنسية بين عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٣، وكان راعيا فخريًا في كنيسة القديسة ماري العذراء، في مدينة دالكيث في اسكتلندا، وكنيسة القديس ليونارد، في قرية لاسوادي التي تبعد تسعة أميال عن مدينة إدنبرة، مع ذلك فإنه لم يفصح عن مهنته الكنسية عبر العنوانات التي اختارها لدراساته عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام، وواقعا فإنه قد كتب كتابا في السبعينيات يراد به الإفصاح عن مدى تأثير الإسلام في أوربا في العصر الوسيط، عنوانه:Islamic Surveys (The Influence of Islam on Medieval Europe)(1972 ، بمعنى: نظرة إسلامية عامة: تأثير الإسلام في أوربا في العصر الوسيط[٤].

والمهم أن المستشرق البروفسور أوري روبين (بالعبرية: אורי רובין) هو أستاذ في قسم اللغة العربية

والدراسات الإسلامية في جامعة (القدس) في إسرائيل. ومجالات بحثه تتركز على الإسلام المبكر (مع التركيز بشكل خاص على القرآن الكريم وعلى سيرة النبي ﷺ وعلى تفسير القرآن الكريم، وعلى الرواية الإسلامية المبكرة المتعلقة بالسيرة النبوية والحديث النبوي). وقد نهض بتأليف عدد من الكتب عن تلك الموضوعات، كما أسهم في نشر مقالات في موسوعة الإسلام وغيرها من الأعمال. وعمل روبين أيضًا في المجلس الاستشاري لموسوعة القرآن. وألّف إلى سنة ٢٠١١ أربعة كتب، وهي

The Quran: The Divine Voice Speaks to Muhammad the Messenger. Jerusalem 2019 [in Hebrew]

القرآن: الصوت الإلهي أو صوت الله وهو يخاطب محمد الرسول، وهو باللغة العبرية، و محمد النبي والجزيرة العربية-Muhammad the Prophet and Arabia, Variorum Collected Studies Series, Ash-gate, 2011. و بين القرآن والتوراة: بنو إسرائيل والصورة الإسلامية،:Between Bible and Qur'an the Children of Israel and the Islamic Self-Image. The Darwin Press, Princeton, New Jersey, 1999. وكتاب عين الناظر: حياة محمد كما يراها المسلمون الأوائل-The Eye of the Beholder: the Life of Muhammad as Viewed by the Early Muslims (a Textual Analysis), The Darwin Press, Princeton, New Jersey, 1995. وهو الكتاب الذي سيكون محورا للمحاججة مع الآراء التي وردت فيه. كذلك له ترجمة للقرآن الكريم باللغة العبرية بعنوانThe Qur'an: Hebrew הקוראן בתרגום עברי: מהדורה חדשה, מעודכנת ומורחבת. תל אביב, 2016 - Translation from the Arabic. New Edition. Tel Aviv 2016، القرآن: ترجمة عبرية من اللغة العربية، وكان قد ترجم القرآن الكريم مع حواشٍ وملاحق وفهرسة قبل ذلك التاريخ وطبعه في القدس في سنة ٢٠٠٥. وكما يرى القارئ فإن كتابه الثالث الموسوم بـ(بين التوراة والقرآن: بنو إسرائيل والصورة الإسلامية) يبين بجلاء الأهداف الحقيقية من وراء نتاجه الشرّ[٥].

والمستشرق في الواقع يعتمد في مؤلفاته على المضان الإسلامية، سواء كانت مؤلفات الطبقات والتاريخ والتفاسير، أم الصحاح والسنن والمصاحف أم غير ذلك، واهتم اهتماما ملحوظا بمسألة أسانيد الروايات المتواترة والمرسلة والمقطوعة وما إلى ذلك من موارد وأصول في علم الحديث، وكانت مؤلفاته على شكل كتب أو بحوث بلغت حوالي السبعين بحثا ومساهمة في المجلات العالمية وفي دوائر المعارف، نظير دائرة المعارف

الإسلامية (الطبعة الثانية) و(الطبعة الثالثة)، وموسوعة القرآن (طبعة بريل في ليدن)، ودائرة معارف هابريكا (باللغة العبرية) Encyclopaedia Hebraica, 3rd supplement volume (١٩٩٥). وإن نظرة إلى قائمة بحوثه تؤكد اهتمامه بالكتابة عن سيرة سيد المرسلين محمد ﷺ وعن القرآن الكريم، نظير بحثه The Seal of the Prophets and the Finality of Prophecy «خاتم الأنبياء واختتام النبوة»، وبحثه «Muhammad's message in Mecca: warnings, signs, and miracles, [The case of the splitting of the moon (Q 54:1-2)]» رسالة محمد في مكة: إنذار (حالة انفلاق) القمر، ورحلة محمد الليلية (الإسراء) إلى المسجد الأقصى: مظهر من مظاهر أصول الإسلام المبكرة جدا لقداسة القدس «، وبحثه «الأنبياء والنبوة" Prophets and Prophethood ، وبحثه «Muhammad the Exorcist: Aspects of Islamic–Jewish Polemics» محمد طارد الأرواح الشريرة: مظهر من مظاهر الجدل الإسلامي – اليهودي، وبحثه «The life of Muhammad and the Qur'an: the case of Muhammad's Hijra» حياة محمد والقرآن: حالة هجرة محمد، وبحثه "Muhammad's Curse of Mudar and the Blockade of Mecca « لعنة محمد على مضر وحصار مكة، وغيرها من الأبحاث التي لم نأتِ على ذكرها، وهي متعلقة بالقرآن الكريم وبعلاقة اليهود في المدينة إلى غير ذلك[٦].

والمستشرق روبين لا يخفي عصبيته اليهودية خلال دراساته تلك، ففي مجال دراساته وأبحاثه عن السيرة النبوية المطهرة نراه دائما يشدد على التأثير التوراتي في الإسلام، وعلى تأثر النبي ﷺ بالتوراة والزبور. وواقعا فإن هذا الرأي لم يكن من اكتشافات البروفسور روبين، إنما هو رؤية وتخرص قديم قد شدّدت عليه مدرسة الاستشراق الألمانية أكثر من غيرها من المدارس الاستشراقية الأوربية منذ منتصف القرن التاسع عشر. والبروفسور روبين الذي ربما تكون عائلته من أصل ألماني أيضا، إذ هو يؤكد اعتماده فعلا على عدد من المستشرقين الألمان القدامى في رؤيته التوراتية هذه، ففي الصفحة الأولى من كتابه: The Eye of the Beholder: The Life of Muhammad as Viewed by the Early Muslims أي «عين الناظر: حياة محمد كما يراها المسلمون الأوائل» الذي نتعرض لمحاججة آراء فيه أدناه. ففي هذه الصفحة ذات الرقم ١ من مقدمته وما يعقبها يذكر المستشرق الهنغاري المعروف الذي يكتب باللغة الألمانية جولدتسيهر Ignaz Goldziher في كتابه المترجم إلى اللغة الإنجليزية الموسوم بـ(دراسات إسلامية)، وكذلك يتعرض إلى المستشرق الألماني جوزيف هورفتز Josef Horovitz في بحثه zur Muhammadlegende «أسطورة محمد»، وإلى المستشرق الألماني

الآخر رودولف زلهايم Rudolf Sellheim في بحثه «نبي، خليفة وتاريخ. سيرة محمد لابن إسحاق» Prophet Chalif und Geschichte. Die Muhammed-Biographie des Ibn Isḥāq[٧]، ودراسة جولدتسيهر الأخرى Uber Muhammadanische Polemik gegen Ahl—kitab" (نبذة عن الجدل المحمدي ضد أهل كتاب)، وكتاب هورفتز الآخر Biblische Nachwirkungen in der Sira «بعد الكتاب المقدس السيرة». إذ احتل هؤلاء المستشرقون الألمان مركز الصدارة فيما يتعلق برأيه عن التأثير التوراتي في الإسلام.

ومما يجدر التنويه إليه بشكل واضح أن هذا التفسير التوراتي وهذه الرؤية التوراتية في مدى تأثيرها في الإسلام والقرآن الكريم هي -كما ذكرنا توا- رؤية قديمة الجذور في الاستشراق الألماني، فالمستشرق اليهودي إبراهام جيجر Abraham Geiger يعدّ أول مستشرق ألماني دشن نظرية تزعم بتأثير اللغة العبرية والتوراة والكتب أو الترجمات اليهودية في الإسلام والقرآن الكريم وفي سيرة نبينا ﷺ[٨]. وكان المستشرقون الألمان في الأصل من المستشرقين اليهود ممّن لم يكن هدفهم من وراء هذا التعصب إلا تحويل المسلمين عن ديانتهم الإسلامية إلى الديانة العبرانية، وإنّما يرجع ذلك بدرجة أو أخرى إلى ما كانوا -وهم إلى الآن ما زالوا- يهدفون إليه من التركيز على الأسبقية اليهودية المتمثلة بالمؤثرات العبرية والتوراتية في كتاب الله العزيز القرآن الكريم، وفي مجمل التفكير الإسلامي الديني والفقهي والمذهبي، بدءا بأول دراسة نهد بها أبراهام جيجر Abraham Geiger -وهو المعروف بدراساته العديدة عن اليهودية- وفي دراسته الأصلية عن رسول الله ﷺ وعن القرآن الكريم. ففي عام ١٨٣٢ كتب رسالته الجامعية التي حصل عليها من جامعة بون وكانت باللغة اللاتينية وعنوانها: «In-quiratur in fonts Alcorani ses legis Mohammedicae eas , qui ex Judaismo derivandi sunt Mohammad aus dem Gudenthume aufgemommen?Was » وترجمت إلى اللغة الألمانية hat وتعني: (ما الذي تلقّاه أو اقتبسه محمد من اليهودية أو من التوراة العبرية؟). وقد تمّ اعتراف المستشرقين آنذاك بهذا الكتاب الذي عدّه ثيودور نولدكه مصدرا موثوقا وعملا يعدّ من الطراز الأول a classic[٩]. وترجم الكتاب إلى اللغة الإنجليزية من قبل أف.أم يونغ F.M.Young ونشر باللغة الإنجليزية عام ١٨٩٨ بعنوان مختلف وهو: (اليهودية والإسلام Judasim and Islam (الترجمة التي تضمنت مقدمة للمستشرق جيجر كتبها في مدينة فيسبادن Wiesbaden في ١٢ من شهر مايس سنة ١٨٣٣.

ومما له علاقة بهذا التوجه في دراسات المستشرقين الألمان لسيرة النبي ﷺ أن إبراهام جيجر عند قبوله في جامعة بون في الكلية الفلسفية منها قد طولب من قبل الجامعة كشرط أساس لقبوله أن تكون دراسته معنية

بالمسائل المتواجدة في آيات الذكر الحكيم تلك المقتبسة أو المأخوذة من اليهودية ومن التوراة على وجه الخصوص؛ فقدّم هذه الدراسة التي نال فيها درجة الدكتوراه من جامعة مربورغ Marburg University في بون وقد نال جائزة من مؤسسة تبشيرية تلك التي ساعدت على ترجمتها وإصدارها. ولم تكن دراسة جيجر دراسة وصفية، إنّما كانت -كما قلنا قبل قليل من الأسطر- دراسة هادفة ومرسومة من قبل الجهة المسؤولة عن تموين الباحث، أي التركيز على المفاصل الدقيقة في كتاب الله تعالى المقتبسة من التوراة. فكانت دراسته وصفية وتحليلية في الآن نفسه، وقد أورد مترجم كتاب جيجر إلى اللغة الإنجليزية يونغ F.M.Young في المقدمة التي كتبها جيجر (أو في استهلاله لكتابه) قوله: «إنه كان ناجحا في عرضه هذه المفاصل من القرآن لكونه كان متفتحا وذا عقلية غير متحزبة وعدم ركونه بشكل أساس إلى ما تعرضه وتبيّنه مؤلفات التفسير الإسلامية، وكذلك لم يركن إلى ما كان يعكسه علماء العقيدة من فهمهم للآيات القرآنية ولم يتأثر بالمرويات وبقصص المؤرخين العرب»[١٠].

واعتمد جيجر على المدراشم أو المدراش بغية أن يطرح في مصادره جميع الكتابات اليهودية التي كتبت بعد حياة النبي ﷺ. ويعدّ كتابه أول خطوة في المشروع اليهودي الفكري الكبير؛ إذ كان جيجر ينشد إلى تبيان أن اليهودية كان لها تأثير مركزي في المسيحية والإسلام. وكان رأيه -في واقع الأمر- يذهب إلى أن كلّا من الديانتين المسيحية والإسلام لا تتمتعان بأية أصالة؛ لأنهما كانتا -ببساطة- عربة لنقل التوحيدية اليهودية إلى العالم الوثني[١١]. وجيجر بعد كل ذلك هو حبر (رابي) يهودي أكثر من كونه عالما أو باحثا. فهو قد اعتمد في هذه الدراسة على مصادر قليلة جدا، إذ يقول في استهلاله للاطروحة ما يأتي:" إن المعلومات المتوافرة عندي حينما تحملت أعباء هذه الدراسة كانت مقصورة فقط على النصّ القرآني مترجما؛ فضلا عن تفسير البيضاوي بشأن السورتين الثانية والثالثة وذلك يعود إلى البروفسور فريتاغ»[١٢]. لذا يمكننا القول بافتقار المستشرق في كتابة كتابه إلى الجانب المصدري، وهو نقص كبير في مدى موضوعية آرائه أو مدى صلابتها. واستنادا إلى كلام المستشرق الذي قال حرفيا:

The material at my disposal,when first undertook this work, were only the bare Arabic text of the Quran in Wahl's Trasilation of the Quran أي: «إن المعلومات التي كانت متوافرة عندي عندما أخذت على عاتقي هذا العمل كانت النصّ العربي للقرآن بحسب الترجمة الألمانية»، وبحسب قول المستشرق الإيطالي نللينو فإن جيجر قد اعتمد على ترجمة المستشرق لويس أو لودوفيكو مراتشي Louis (or Ludovico) Maracci المتوفى سنة ١٧٠٠م بحسب قول المستشرق نللينو[١٣].

فالمستشرق جيجر -على وفق هذه الأدلة والمصادر الشحيحة جدا، فضلا عن الكتابات اليهودية المتوافرة في فترته- قد كتب أطروحته مدللا فيها على نظريته في التأثير اليهودي. وبالصورة التي أتينا عليها حين قرأنا كتابه فهو يسلط الضوء على النتائج التي تمثل أهدافه من وراء دراسته الجامعية التي أريد لها من كلية الفلسفة في جامعته التركيز على الأثر اليهودي في القرآن الكريم. ومن بين النقاط الرئيسة التي تناولها جيجر في كتابه الكلمات والعبارات التي اقتبسها رسول الله ﷺ من اليهودية، فالمستشرق عدد أربع عشرة كلمة (١٤ كلمة) ورأى أنها انتقلت من الكتابات العبرية rabbinical Hebrew إلى القرآن من أمثال: (تابوت) وترجمها إلى الألمانية والإنجليزية بكلمة أرك ark ، و(توراة) وترجمها إلى الشريعة أو القانون Law ، و(جنة عدن) وترجمها إلى الفردوس paradise ، وتعبير الفردوس كان معروفا عند العرب قبل الإسلام والمراد به الأشجار الملتفة على بعضها ويغلب على تلك الأشجار العنب، و(جهنم) وترجمها إلى hell ، و(أحبار) وترجمها إلى teacher ، و(درس) وترجمها إلى exact research ، و(رباني) وترجمها إلى teacher ، و(سبت) وترجمها إلى day of rest ، و(سكينة) وترجمها إلى the presence of God ، و(طاغوت) وترجمها إلى error ، و(فرقان) وترجمها إلى deliverance ، و(ماعون) وترجمها إلى refuge ، و(مثاني) وترجمها إلى repetition ، و(ملكوت) وترجمها إلى government ، وأردف قائلا: إن هذه الأربع عشرة كلمة التي من الواضح ومن الجليّ أنها مأخوذة أو مقتبسة من كتابات الأحبار العبرية، تعكس أو تبيّن كيف انتقلت مفاهيم مهمة جدا من اليهودية إلى الإسلام[١٤]، وهناك أدلة آخرى -بحسب رأي جيجر- لا مجال لذكرها هاهنا، وهي بشكل عام تتشابه مع آراء البروفسور روبين وأطروحاته بشأن التأثير التوراتي، تلك التي سنستعرض بعضها أدناه.

والواقع أن عددا من المستشرقين الألمان قد تأثروا بأطروحة إبراهام جيجر المتعلقة بالتأثير التوراتي في القرآن، وبأن رسول الله ﷺ قد استقى الكثير من المبادئ الإسلامية من التوراة والكتب العبرية، وأن الرسول (حاشاه الله) هو الذي كتب كتاب الله العزيز، إن كان ذلك من المستشرقين الألمان أو من غيرهم من أمثال هاورتج هيرتشفيلد Hirschfeld Hartwige ، وجوليوس هوروفتز J.Horovitz وهيرشبرغ Z.Hirschberg وإسرائيل سكابيرو Israel Schapiro وهربرت بيرج Herbert Berg. ولم تنحصر عناصر التأثير التوراتي على المستشرقين الألمان، بل تعدت إلى غيرهم من المستشرقين ممّن سلّطوا الضوء ودعموا مسألة التأثير النصراني لا اليهودي في القرآن الكريم، نظير المستشرق الألماني جوليوس فلهاوزن J.Wellhausen ، والمستشرق أهرنز K.Ahrens وتور أندريه Tor Andrea ، فهؤلاء وغيرهم قد عدّوا القرآن برمته إن هو إلّا نتاج الأنظمة

الدينية السابقة. فضلا عن مستشرقين ومبشرين أوربيين قد استندوا إلى مواقف جيجر، ومن بين أبرزهم المستشرق المبشر كلير تسدال، وينظر لذلك بحث البروفسور ستيلمان[١٥].

الكتاب الذي ألفه المستشرق أوري روبين المعني هاهنا الموسوم بـ» عين الناظر: حياة النبي كما يراها المسلمون الأوائل The Eye of the Beholder: the Life of Muhammad as Viewed by the Early Muslims « يكاد يكون من بين أوائل إصدارات المستشرق روبين، إذ قد تم طبعه في سنة ١٩٩٥، وقد شدّد في دراسته عن سيرة سيد المرسلين محمد ﷺ على التأثير اليهودي – التوراتي في جميع مفاصل السيرة النبوية المطهرة. وجعله في ستة فصول واختار كلمة واحدة للدلالة على كل فصل من هذه الفصول، تلك الكلمات التي وجدنا بعضها ذات مدلول توراتي أيضا، وسوف نستعرض من هذا الكتاب مسألة جوهرية في المحاججة مع المستشرق ألا وهي تفسيره التوراتي فيما يتعلق بالسيرة النبوية وبشخصية رسول الله ﷺ، وفصول الكتاب هي الآتي:

عنوانات الفصول:

١-القسم الأول:

*الدليل والبرهان **attestation**

*البشارة التوراتية Biblical Announciation

*البشارة العربية Arab gospel

٢- القسم الثاني:

*الاعداد Preparation

*الاستهلال: شقّ صدر محمد : Initiation the Opening of Muhammad's Breast

*الهداية Guidance

٣-القسم الثالث:

*الوحي Revealation

*قصة خديجة – ورقة The Khadija – Waraqa Story

*فتور الوحي The Lapse of Revelation

٤- القسم الرابع:

*التجلي (ويقصد بالكلمة عيد التجلي لمريم العذراء في الهيكل) Presention

*الإعلان Declaration : The ‘Ashira Scene

*ردّ فعل أبي لهب The Reaction of Abu Lahab

*ردّ فعل أبي طالب The Reaction of Abu Talib

*الانعزال Isolation الآيات الشيطانية The Satanic Verses

٥-القسم الخامس:

*الخلاص Salvation

*لقاءات العقبة The ‘Aqaba Meetings

٦-الخاتمة: تعيين تواريخ الأحداث في حياة محمد

٧-الاستنتاج.

يحدد المستشرق أوري روبين في مقدمة كتابه وبالتحديد في السطر النهائي من صفحة ٣ وبداية الصفحة التالية صفحة ٤ تفسيره لشخصية رسول الله ﷺ وسيرته بقوله (ونصّ ترجمة رؤيته): «الإسلام في العصر الوسيط كان مشغول البال بوضعيته الخاصة في تاريخ العالم، وهو يحاول أن يبني ويؤسس لنفسه موضعا كوريث جدير وكفوء للمجتمعات التوحيدية التي أصبحت تحت سيطرته، وبالأخص للمجتمعين اليهودي والمسيحي. فلذا صوّر المسلمون سيرة نبيهم الخاص بهم وحياته بالصورة نفسها التي كانت مرسومة في اعتباراتهم وفي أذهانهم. وفي الواقع فإنهم قد سعوا وجدّوا لأن يوفروا لنبيهم سيرة حياة ليست أقل بريقا من سيرة الأنبياء السابقين وحياتهم، ومن أجل أن يقوموا بذلك فقد وضعوا لسيرته وطبقوا عليها أفكارا رئيسة توراتية متأصلة في صلب القصص عن هؤلاء الأنبياء». [لقد عملت على ذكر النصّ الإنجليزي ومن ثمّ ترجمته من أجل إبراز رؤية المستشرق حرفيا، فهذا النصّ بالإنجليزية] And in order to do so applied to it biblical themes inherent in the stories about those prophets [١٦]. والذي يقرأ هذا النصّ الغامض للمستشرق والمتضمن تعبيرات عمومية ليس لها وقائع تاريخية وهي بحدّ ذاتها تثير مجموعة تساؤلات من بينها -على سبيل المثال- ما الذي يقصده المستشرق بتعبيره «المسلمون» ؟ أهم المقصود بهم أولئك الذين كانوا في مكة قبل الهجرة إلى المدينة ؟ أم يقصد بهم صحابة رسول الله ﷺ عموما كما ينطوي عليه عنوان كتابه بتعبير (المسلمون الأوائل) ؟ وهل المقصود مَن اعتنق الإسلام أولا، وأعني هنا أبا طالب وخديجة الكبرى والإمام عليا ؑ وزيد بن حارثة، بمعنى مَن صلى خلف رسول الله ﷺ أم النفر الذين أسلموا بعدهم كالصحابي أبي بكر وعمر بن

الخطاب والزبير بن العوام وغيرهم ؟ وأقصد بهذا التساؤل المهم: هل هي روايات هؤلاء الصحابة تلك التي «وفرّت للنبي سيرة ليست أقل بريقا من سيرة الأنبياء السابقين وحياتهم» ؟! بحسب ما ذكره المستشرق! . وبالمناسبة فإن أبا طالب عليه السلام قد قال أشعارا كثيرة في وصف خلق رسول الله وصدق دعوته وهي موجودة في سيرة ابن إسحاق لا سيرة ابن هشام الذي حذف كثيرا جدا منها بحجة أنها غير موثوقة، كذلك الحال بما له علاقة بالإمام علي عليه السلام الذي كان المصدر الأساس عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله، لكن الخليفة الراشدي الثاني ومعاوية بن أبي سفيان بعد استحواذهما على الملك قد أعلنا محاربتهما لهذه الرواية وطمسها أو إحراقها بأساليب القهر لكل من كان يرويها أو يجمعها أو حتى من يدوّنها.

ويبدو أن المستشرق كان على قناعة بأن الصحابةَ (رضوان الله عليهم) والمسلمين الأوائل بله ومؤلفي السيرة النبوية هم الذين رسموا مباني حياة رسول الله صلى الله عليه وآله لتكون سيرته وحياته على غرار سيرة الأنبياء السابقين وحياتهم، وكأنها شخصية مجهولة وغير معروفة فلذلك جاء شرحبيل بن سعد وعروة بن الزبير وابن شهاب الزهري ومحمد بن إسحاق ومحمد بن سعد البصري فوضعوا سيرته صلى الله عليه وآله على وفق ما صورته التوراة للنبي موسى عليه السلام. ألم يقرأ المستشرق روبين ما ورد في مسند أحمد بن حنبل من قوله في الحديث رقم (١٥١٩٥): حدثنا سريج بن النعمان قال حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله «أن عمر بن الخطاب أتى النبي صلى الله عليه وآله بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقرأه النبي صلى الله عليه وآله فغضب فقال: أَمُتَهَوِّكُونَ فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به والذي نفسي بيده لو أن موسى صلى الله عليه وسلم كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعني» ؟ ، وجاء الحديث أيضا عند الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ هجرية في آداب الجامع: (١٣٥٠): حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد بن إبراهيم القزويني، أنا علي بن إبراهيم بن سلمة القطان، حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، نا آدم بن أبي إياس، نا ورقاء بن عمر، عن جابر الجعفي، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن ثابت ، خادم النبي صلى الله عليه وآله قال : «جاء عمر بصحيفة فقال: يا رسول الله بعث إلي بهذه الصحيفة رجل من بني قريظة فيها جوامع من التوراة أقرأها عليك، فجعل عمر يقرأ وجعل وجه رسول الله يتغير فرمى عمر بالصحيفة بشماله وقال: رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا فما زال يقولها حتى أسفر وجه رسول الله ثم قال: والذي نفسي بيده لو أصبح اليوم فيكم موسى ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من الأنبياء» ، وفي حديث آخر أورده الخطيب البغدادي في كتابه الجامع لأخلاق الراوي

وآداب السامع، أن عمر قال: «يا رسول الله، إن أهل الكتاب يحدّثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد هممنا أن نكتبها، فقال ﷺ: أَمُتَهَوِّكُونَ أَنْتُمْ كَمَا يَتَهَوَّكُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى ؟ أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولكني أعطيت جوامع الكلم، واختصر ليّ الحديث اختصارا». وورد الخبر عند الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (كتاب المناقب، مناقب عمر بن الخطاب) قال: «وعن أبي الدرداء قال: جاء عمر بجوامع من التوراة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله جوامع من التوراة أخذتها من أخ لي من بني زريق فتغير وجه رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن زيد الذي أري الأذان: أمسخ الله عقلك ألا ترى الذي بوجه رسول الله ﷺ فقال عمر: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن إماماً فسرى عن رسول الله ﷺ ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو كان موسى بين أظهركم ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم ضلالاً بعيداً أنتم حظي من الأمم وأنا حظكم من النبيين. رواه الطبراني في الكبير وفيه أبو عامر القاسم بن محمد الأسدي»[١٧].

وقد تغافل المستشرق بله وتناسى -ربما متعمدا- وهو الذي ترجم القرآن الكريم إلى اللغة العبرية، ما جاء في القرآن الكريم تلك الوثيقة الربانية التي سبقت أيّا من المسلمين الأوائل ومن مؤلفي السيرة النبوية ورواتها، فقد جاءت آيات القرآن الكريم عن الرسول ﷺ مركزة على أخلاقه العليا، وأنه نعم الأسوة لأصحابه وللعالمين جميعاً، فكانت الآيات الكريمة شهادات ربانية عن أخلاق الرسول العليا وعن شخصيته. ونلاحظ أن الآيات التي تناولت الشمائل المحمدية جاءت بصيغة تقريرية مباشرة، تثبت الخلق الكريم، وتنفي الغلظة والجفاء، وتوصي بالتراحم والمشاورة وحسن الخطاب. فالمولى تبارك وتعالى ينعت نبيه ﷺ من فوق سبع سماوات بشهادة ربانية فيقول: ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ ﴿ سورة القلم الآية ٤ ﴾ ، وفي قوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ ﴿ الأحزاب الآية ٢١ ﴾ ، فرسول الله ﷺ هو الأسوة الحسنة، وهذه الآية تعدّ الأصل الكبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله، بمعنى: يا أيها الصحابة هلاّ اقتديتم به وتأسيتم بشمائله. فالأسوة هي القدوة، والرسول كان الأنموذج الأنقى والأصفى لأصحابه، وهو في دعوته ليس منظّرًا فيلسوفًا، بل مربيًا هاديًا داعيًا، قولا وفعلاً، وسلوكًا طيبًا في قدوته لأصحابه، وهي آية كريمة تنبه الجماعة المؤمنة التي ترجو رضا الله تعالى والنجاة يوم القيامة أن تتأسى بالرسول ﷺ في حياتها. وروى البراء بن عازب قال: «كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأحسن الناس خلقًا». وقال ﷺ أيضًا: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، ويقول المولى تعالى أيضاً: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ**

﴿فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهَّ إِنَّ اللهَّ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ ﴿سورة آل عمران الآية ١٥٩﴾، وفي قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿التوبة الآية ١٢٨﴾. فالآيات الكريمة تخاطب الجماعة المؤمنة، وتذكّرهم أن محمدًا (عليه الصلاة والسلام) من جنسهم نفسه ومن أصلهم، أي عربي قرشي، وهو المبلغ لرسالة الله تعالى، ويشق عليه عنتهم ويعزّ عليه الشيء الذي يعنت أمته ويشقيها، وهو ﷺ حريص على هداية أمته، يبغي لهم جميعا النفع الدنيوي والأخروي، وقال سبحانه: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ﴾ ﴿سورة آل عمران الآية ١٥٣﴾، وهذه الآية الكريمة تصف شجاعته ﷺ وثباته في مواقف البأس الشديد، ففي معركة أحد عندما دارت الدائرة على المؤمنين، وفزعوا واضطربوا فانهزموا متجهين إلى المرتفعات هروبا من المعركة فكانوا يصعدون ولا يلوون على أحد، ورسول الله ﷺ والإمام علي وجمع من أصحابه الثقاة ثابتون لم يتزلزلوا. وقال سبحانه وتعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿سورة الشعراء الآية ٣﴾، وقال سبحانه: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَّ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ﴿سورة فاطر الآية ٨﴾.

وفي حديث آخر للبخاري عبّر فيه رسول الله ﷺ تعبيرا صريحا عمّا كان بعض المسلمين يأخذونه من الكتب اليهودية، وهو الحديث رقم (٢٥٣٩) من كتاب الشهادات، جاء سنده عن يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن عباس «قال: يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه ﷺ أحدث الأخبار بالله. تقرؤونه لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب فقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ولا والله ما رأينا منهم رجلا قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم»[١٨].

وذكر البخاري عن عبد الله بن عمر قوله: (جاء اليَهُود إِلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ، فَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ رَجُلًا مِنْهُمْ وَامْرَأَةً زَنَيَا، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهَّ ﷺ: مَا تَجِدُونَ فِي التَّوْرَاةِ فِي شَأْنِ الرَّجْمِ. فَقَالُوا: نَفْضَحُهُمْ وَيُجْلَدُونَ. فَقَالَ عَبْدُ اللهَّ بْنُ سَلاَمٍ: كَذَبْتُمْ إِنَّ فِيهَا الرَّجْمَ. فَأَتَوْا بِالتَّوْرَاةِ فَنَشَرُوهَا، فَوَضَعَ أَحَدُهُمْ يَدَهُ عَلَى آيَةِ الرَّجْمِ، فَقَرَأَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهَّ بْنُ سَلاَمٍ: ارْفَعْ يَدَكَ، فَرَفَعَ يَدَهُ فَإِذَا فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ. فَقَالُوا: صَدَقَ يَا مُحَمَّدُ، فِيهَا آيَةُ الرَّجْمِ. فَأَمَرَ بِهِمَا رَسُولُ اللهَّ ﷺ فَرُجِمَا، قَالَ عَبْدُ اللهَّ فَرَأَيْتُ الرَّجُلَ يَجْنَأُ عَلَى المَرْأَةِ يَقِيهَا الحِجَارَةَ) حديث رقم (٣٦٣٥). قال ابن إسحاق: وحدثني ابن شهاب الزهري أنه سمع رجلا من مزينة، من أهل العلم، يحدث سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة حدثهم: «أن أحبار يهود اجتمعوا في بيت المدارس، حين قدم رسول الله ﷺ

المدينة، وقد زنى رجل منهم بعد إحصانه بامرأة من يهود قد أحصنت، فقالوا: ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة إلى محمد، فسلوه كيف الحكم فيهما، وولوه الحكم عليهما، فإن عمل فيهما بعملكم من التجبية -والتجبية: الجلد بحبل من ليف مطلي بقار، ثم تسود وجوههما، ثم يحملان على حمارين، وتجعل وجوههما من قبل أدبار الحمارين- فاتبعوه، فإنما هو ملك، وصدقوه، وإن هو حكم فيهما بالرجم فإنه نبي، فاحذروه على ما في أيديكم أن يسلبكموه. فأتوه، فقالوا: يا محمد، هذا رجل قد زنى بعد إحصانه بامرأة قد أحصنت، فاحكم فيهما، فقد ولیناك الحكم فيهما، فمشى رسول الله ﷺ حتى أتى أحبارهم في بيت المدارس، فقال: يا معشر يهود، أخرجوا إلي علماءكم فأخرجوا له عبد الله بن صوريا. قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض بني قريظة: أنهم قد أخرجوا إليه يومئذ، مع ابن صوريا، أبا ياسر بن أخطب، ووهب بن يهوذا، فقالوا: هؤلاء علماؤنا، فسألهم رسول الله ﷺ، حتى حصل أمرهم، إلى أن قالوا لعبد الله بن صوريا: هذا أعلم من بقي بالتوراة. قال ابن هشام: «وقد حدثني بعض بني قريظة» إلى «أعلم من من بقى بالتوراة» من قول ابن إسحاق، وما بعده من الحديث الذي قبله. فخلا به رسول الله ﷺ، وكان غلاما شابا من أحدثهم سنا، فألظ به رسول الله ﷺ المسألة، يقول له: يا بن صوريا، أنشدك الله وأذكرك بأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلم أن الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة؟ قال: اللهم نعم، أما والله يا أبا القاسم إنهم ليعرفون انك لنبي مرسل ولكنهم يحسدونك، قال: فخرج رسول الله ﷺ فأمر بهما فرجما عند باب مسجده في بني غنم بن مالك بن النجار. ثم كفر بعد ذلك ابن صوريا، وجحد نبوة رسول الله ﷺ». قال ابن إسحاق: «وحدثني صالح بن كيسان عن نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، قال: لما حكموا رسول الله ﷺ فيهما، دعاهم بالتوراة، وجلس حبر منهم يتلوها، وقد وضع يده على آية الرجم، قال: فضرب عبد الله بن سلام يد الحبر، ثم قال: هذه يا نبي الله آية الرجم يأبى أن يتلوها عليك، فقال لهم رسول الله ﷺ: ويحكم يا معشر يهود! ما دعاكم إلى ترك حكم الله وهو بأيديكم؟ قال: فقالوا: أما والله إنه قد كان فينا يعمل به، حتى زنى رجل منا بعد إحصانه، من بيوت الملوك وأهل الشرف، فمنعه الملك من الرجم، ثم زنى رجل منا بعده، فأراد أن يرجمه، فقالوا: لا والله، حتى ترجم فلانا، فلما قالوا له ذلك اجتمعوا فأصلحوا أمرهم على التجبية، وأماتوا ذكر الرجم والعمل به. قال: فقال رسول الله ﷺ: فأنا أول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به، ثم أمر بهما فرجما عند باب مسجده». قال ابن إسحاق: «وحدثني داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس: أن الآيات من المائدة التي قال الله فيها: ﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنّ اللهّ يُحِبّ الْمُقْسِطِينَ ﴾، إنما أنزلت في الدية بين بني النضير وبين بني قريظة، وذلك أن قتلى بني النضير، وكان لهم شرف، يؤدون الدية كاملة، وأن

بني قريظة [كانوا] يؤدون نصف الدية، فتحاكموا في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله ذلك فيهم، فحملهم رسول الله ﷺ على الحق في ذلك، فجعل الدية سواء. قال ابن إسحاق: فالله أعلم أي ذلك كان. قال ابن إسحاق: وقال كعب بن أسد، وابن صلوبا، وعبد الله بن صوريا، وشأس بن قيس، بعضهم لبعض: اذهبوا بنا إلى محمد، لعلنا نفتنه عن دينه، فإنما هو بشر، فأتوه فقالوا له: يا محمد، إنك قد عرفت أنّا أحبار يهود وأشرافهم وسادتهم، وأنّا إن اتبعناك اتبعتك يهود، ولم يخالفونا، وأن بيننا وبين بعض قومنا خصومة، أفنحاكمهم إليك فتقضي لنا عليهم، ونؤمن بك ونصدقك؟ فأبى ذلك رسول الله ﷺ عليهم، فأنزل الله فيهم: ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ » ﴿ سورة المائدة الآيات ٤٩-٥٠ ﴾[١٩].

إن الله أخذ العهد والميثاق على جميع الرسل والأنبياء أن يؤمنوا به ويتبعوه إذا ظهر في عهدهم، إذ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾ ﴿ آل عمران: ٨١ ﴾. وعَنْ الصحابي جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله الأنصاري أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعُمَرَ: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي)[٢٠]. وقد عَلَّم رسول الله ﷺ أُمَّتَهُ أنَّ أنبياء الله ورسله السابقين كالبناء العملاق القائم على التكامل والتعاون؛ لأداء مهمَّة واحدة، وهي توحيد الله تعالى، ومن ثَمَّ قال رسول الله: (إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلاَّ وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ. قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ)[٢١].

لذلك نجد رسول الله يُعَلِّم أُمَّته تعظيم الأنبياء، بل ويخصُّ بالذِّكر الزعماء الكبار للديانتين اليهودية والنصرانية، فيقول رسول الله ﷺ عندما عَلِم أنَّ اليهود يصومون يوم عاشوراء؛ احتفالاً بإنجاء الله تعالى لموسى عليه السلام وبني إسرائيل من عدوِّهم: «أَنَا أَحَقُّ بِمُوسَى مِنْكُمْ». فصامه وأمر بصيامه[٢٢]. كما قال رسول الله ﷺ عن عيسى عليه السلام: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ». وقال رسول الله ﷺ أيضًا: «الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلاَّتٍ، وَأُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»[٢٣]. هكذا كان ينظر رسولُ الله ﷺ إلى أنبياء الله؛ فشتَّان بين نظرة مستمدَّة من قيم الإسلام الأصيلة وغيرها من النظرات المحرَّفة القاصرة. وهذه هي مكانة هؤلاء الأنبياء الكرام في عين رسول الله ﷺ، وحتى عندما كان يتمنَّى ﷺ من نبي فعلاً غير الذي فعل، كان يُقدِّم أمنيَّته

بالدعاء له، فتجده -مثلاً- عندما يتمنَّى أن لو كان موسى ﷺ قد صبر في رحلته مع الخضر يقول: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا»[٢٤]. وعندما رأى رسول الله ﷺ أن هناك كلمة أولى من الكلمة التي قالها لوط ﷺ وحكاها عنه القرآن الكريم عندما قال: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾ ﴿هود: ٨٠﴾، قال رسول الله ﷺ: «يَرْحَمُ اللهُ لُوطًا، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ»[٢٥].

فالمستشرق في القسم الأول من كتابه الموسوم بعنوان « الدليل attestation » الذي انقسم على قسمين: الأول منهما عنوانه « البشارة التوراتية » يقول في مقدمته في صفحة ٢١-٢٢ ما نصّ ترجمته: «إن تشكيل وتحديد صورة أو أيقونة نبي الإسلام في موازاة السلسلة التوراتية يتمثل على نحو نموذجي في موضوع البشارة. فلكونه نبيا وكان اختياره محتّما بقضاء وقدر، فإن ظهور محمد ﷺ الفعلي في الجزيرة العربية قد بشّر به من قبل الأنبياء السابقين ﷺ الذين تتجلّى فيهم مسبقا هدف الفكرة الإلهية التاريخية، والذين كانت مهمتهم هي تمهيد الطريق لظهور محمد ﷺ. فالمسلمون خلال بحثهم عن دليل أدبي للبشارة والبلاغ لنبيهم ﷺ، قد استخدموا الوسيلة نفسها كتلك التي استخدمت من قبل المسيحين عن عيسى ﷺ؛ فكانوا ينظرون للبشارة والإبلاغ في الكتب المقدسة القديمة فحددوا هوية نبيهم بالمخلص المسيحي المهدي ذلك الذي كان ظهوره -بحسب ما يعتقد- قد تنبئ به في كثير من الآيات والشواهد التوراتية. وقد اقتبس المسلمون هذه الآيات والشواهد التوراتية حرفيا بترجمتها العربية في كثير من الرسائل والمقالات الجدلية التي كتبها الكتّاب المسلمون تلك التي تمّ مسحها بالفعل من قبل (**جولدتسيهر**) وآخرين. وأحد هؤلاء الكتّاب، كتّاب الرسائل، كان علي بن ربن الطبري المتوفى حوالي سنة ٢٥٠ هجرية، الذي خصّص معظم كتابه «الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ» للاقتباسات التوراتية التي كانت يعتقد بأنها تشير إلى نبي الإسلام. وكتّاب متأخرون لم تتم مناقشتهم من قبل (جولدتسيهر) وآخرين قد أوردوا الاقتباسات نفسها، وحتى أن المسلمين المعاصرين ما زالوا يكررونها وذلك للأغراض الدفاعية والتبريرية». فمّما له علاقة بما أشار المستشرق إليه (**ابن ربن**)، فقد رجعت إلى كتاب علي بن ربن، إذ يذكر في الباب العاشر من كتابه (الدين والدولة) بابا عنوانه «في نبوات الأنبياء على النبي ﷺ وعليهم» فيقول ما نصّه: «وقد قدّمت (يعني ما أورده على صفحة ١٣٠ من موضوع عنوانه «في أنه لو لم يظهر النبي ﷺ لبطلت نبوات الأنبياء» إلى صفحة ١٣٧ وهو الباب العاشر) ذكر أربع نبوات في إسماعيل ﷺ فيها من الشواهد على حقيقة أمة النبي ﷺ ما لا يجهله إلّا جاهل، ولا يجحده إلا غبيّ، وبأنه لو لم يبعث النبي ﷺ لبطلت النبوات واستحالت. وأنا ذاكر مما بقي من نبوات الأنبياء ﷺ ما هو كالمشاهدة والعيان، فإن منهم من قد وصف زمانه

وبلده ومبعثه وتبعه وأنصاره وصرّح باسمه تصريحا. فالنبوة الخامسة الدالة عليه المشيرة إلى نبوته وحقه قول موسى ﷺ في الفصل الحادي عشر من التوراة من السفر الخامس، وهو الأخير لبني إسرائيل: إن الربّ إلهكم يقيم نبيا مثلي من بينكم ومن إخوتكم فاسمعوا له، وقالت التوراة في هذا الفصل بعينه مؤكدا لهذا القول وموضحا له: «إنه قال الرب لموسى ﷺ: إني مقيم لهم نبيا مثلك من بين إخوتهم، وأيما رجل لم يسمع كلماتي التي يؤديها ذلك الرجل باسمي أنا أنتقم منه»، ولم يقم الله نبيا من إخوة بني إسرائيل إلّا محمدا ﷺ. وقوله من بينهم هو تأكيد وتحديد انه من ولد أبيهم لا من ولد عمومته، فأما المسيح ﷺ وسائر الأنبياء (صلى الله عليهم) فإنهم كانوا منهم أنفسهم. ومن ظنّ بأن الله تعالى لم يميز بين مَن هو مِن القوم أنفسهم ومَن هو من إخوتهم فقد ظنّ عجزا، فأما من ادعى أن هذه النبوة في المسيح ﷺ فقد ظلم بخلتين وتجاهل من وجهين، أحدهما أن المسيح ﷺ من ولد داوود ﷺ، وداوود ﷺ منهم أنفسهم وليس من إخوتهم، والثانية أن من قال مرة إن المسيح ﷺ هو خالق غير مخلوق، ثم زعم أن المسيح مثل موسى، فقد تناقض خبره وتذبذب قوله، وان من زعم أن هذه في يشوع بن نون فقد أخطأ؛ لأن يشوع ليس يعدّ من الأنبياء، ولم يؤدّ عن الله تعالى إلى بني إسرائيل شيئا سوى ما أداه موسى ﷺ، ولأنه من القوم أنفسهم وليس من إخوتهم، والنبيّ الذي أقام الله تعالى من بني إخوتهم هو محمد ﷺ، وهو الذي من خالفه انتقم الله منه، فقد ترون آثار النقمة بيّنة على من خالفه، ودلائل النعمة ظاهرة على من قبله». فهذا هو الأنموذج الذي أورده علي بن ربن الطبري في الردّ على اليهود الذين كانوا قد حرّفوا ما جاء في التوراة تلك التي اطلع عليها ابن ربن وكانت هي الوثيقة الدامغة في المحاججة مع اليهود ومع من أنكر نبوة النبي ﷺ، فهي كما يظهر جليّا على خلاف ما أراده وما هدف إليه المستشرق روبين تماما. فعلي بن ربن الطبري كان يهدف من وراء تأليفه هذه الرسالة، وكان هدفه ما بيّنه في مقدمته على صفحة ٣٣ من كتابه المحقق التي جاء نصّها: «إنه، الله تعالى، المنّان الحكيم الذي أظهر الحق وأناره، وفطر العباد وأرسل رسوله وحبيبه وخليله إلى الشاكين فيه يدعوهم إلى الفوز الدائم والنور الساطع، حتى إذا دنت واقتربت الساعة بعث الله تعالى نبينا محمدا ﷺ إلى كافة الخلق بشيرا ونذيرا وسراجا منيرا، فصدع بأمر ربه وأهاب أعداءه بترغيب وترهيب وتعليم وتقويم، يحثّ على الملكوت ونعيمها، ويؤدي عن الله ما نزل به جبريل الملك إليه من التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يغادر حقّا جاءت به الأنبياء قبله بل يؤكده ويؤيده ويأمر بالإيمان بهم أجمعين، والصلاة على الأولين منهم والآخرين». فهدف العالم علي بن ربن –إذن– لم يكن دفاعيا ولا تبريريا كما يزعم المستشرق، إنما هو –وفي القسم الذي نوهنا إليه من الباب العاشر من الكتاب– محاجة منطقية معتمدة على الأصل العبري من التوراة؛ لأنه كان في الأصل يهوديا ثم اعتنق الإسلام، فكان يتقن

العبرانية؛ ولذلك جاءت معلوماته مباشرة من التوراة والزبور المزمور الخامس والأربعين والثامن والأربعين والخمسين والثاني والسبعين والمائة وعشرة ... إلخ، ونبوات إشعيا من كتابه ونبوة ميخا ونبوة صفنيا .... إلخ. فعلي بن ربن الطبري هو أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري قد أسلم على يد المعتصم وقربه وظهر فضله وهو معلم الرازي صناعة الطب وكان مولده ومنشؤه طبرستان. وله من الكتب كتاب فردوس الحكمة، وذكر القفطي في كتابه أنه كان يهودياً طبيباً منجماً من أهل طبرستان، وكان والده ربن متقدما في علم اليهود -والربن والربين والراب أسماء مقدمي شريعة اليهود- وكتابه «الدين والدولة» قصد منه الدفاع عن الدين الإسلامي ونبوة النبي ﷺ والردّ على اليهود وعلى أصناف النصارى[٢٦]. وهذا هو ما نطق به القرآن الكريم في كثير من الآيات الكريمات التي تصرّح بمخالفة اليهود للنبي ﷺ وتحريفهم لما جاء به كتابهم المقدس، قال الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة، الآيات (٤١- ٤٢- ٤٣): ﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٤١) سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٤٢) وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**﴾، وقال عزّ من قائل في الآية (١٨٧) من سورة آل عمران: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾، وقوله تعالى في الآية (٤٦) من سورة النساء: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾، وهناك عدد من الآيات الكريمة التي تدعم ما ذكرناه توا.

ولم يقتصر المستشرق روبين على توكيده على التأثير التوراتي في المسلمين وفي رواة السيرة النبوية ومؤلفيها الذين -بحسب تفسيره السابق الذكر- إنّما صمموا مؤلفاتهم عن «سيرة النبي ﷺ» لمجرد أن يقلدوا سير الأنبياء معتمدين على التوراة والزبور، وهو تفسير بعيد عن الحقيقة التاريخية، سواء كان ذلك بالنسبة لرواية الصحابة (رضوان الله عليهم) أو لمؤلفي السيرة النبوية المطهرة الأوائل، بل نراه يطرح المفهوم نفسه في كثير من

موضوعات السيرة النبوية في خاتمة كتابه، وهو ما سنتناوله على وفق الآتي:

ففي موضوع ذكره المستشرق في خاتمة كتابه يحمل عنوان «جدولة بالتسلسل الزمني للأحداث في حياة محمد» يذكر على صفحة ١٩٠ قائلا:

أولا:

«ان التسلسل الزمني يعدّ موضوعا رئيسا في جميع السّير الذاتيةvita المكتوبة عن أي ملك بارز في الكتاب المقدس، أو عن أي بطريرك، أو عن أي نبي، وهذه تعتمد في كثير من الأحيان الصيغة العددية والرقمية المتناسقة، وهي تدل ضمنا على كونه المسلك الإلهي المقدر في حياة ذلك الزعيم. [ويستمر المستشرق في قوله] فيذكر: «ففي حالة محمد، يظهر هذا التوافق والتناسق في تكرار التاريخ نفسه وهو يوم -الاثنين، ١٢ ربيع الأول- في كل حدث رئيس من الأحداث في سيرة حياته. فالرواية تؤكد أن هذا كان هو تاريخ ولادته، وهو يمثل أيضا تاريخ وحيه الأول، وتاريخ رحلته الليلية وصعوده إلى السماء، وتاريخ هجرته، وكذلك تاريخ وفاته، والروايات الأكثر شيوعا التي تشير إلى أن هذا التاريخ هو تاريخ وفاة النبي.

ولعل اختيار ربيع الأول هو انعكاس للرواية اليهودية بشأن موسى. فالنبي قد ولد وتوفي في الشهر نفسه، أدر. وفي تحويل هذه الرواية إلى الرواية الإسلامية فإن أدر قد حلّ محله شهر مساوٍ آخر في التقويم العربي ألا وهو ربيع الأول. وان تعبير ربيع لا يكون فقط للشهر التقويمي، بل يشير أيضًا إلى أنه فصل، وهو الفصل نفسه الذي يقع فيه أدر العبري، أي الربيع فيه. وبشكل أكثر تحديدًا، يقع أدر في الاعتدال الربيعي النضر والجديد (٢١ آذار)، ذلك الذي يطلق عليه العرب اسم الاستواء الربيعي. ولذلك فإن أدر، في الواقع يؤشر بالفعل إلى الانتقال من الشتاء إلى الربيع. أما فيما يتعلق من الأمر بالرواية اليهودية، فمن المحتمل أنه قد تمّ اختيار أدر للتسلسل الزمني لحياة موسى وذلك لأنه يمثل الشهر الأخير بحسب التقويم العبري القديم، ولذلك فإن مولد موسى قد حدث على حافة أو على حدّ سنة جديدة. ويبدو أن الشيء نفسه ينطبق على عيسى، الذي كان تاريخ ميلاده هو الشهر الأخير من التقويم الروماني. والرواية اليهودية لم تكن هي الرواية المتفق عليها بالإجماع على أنه اليوم المحدد بالضبط من أدر الذي كان موسى قد ولد وتوفي فيه. وان الرأي الأكثر انتشارا أنه كان في يوم ٧ أدر، غير أن بعضهم يرى أنه في الأول من أدر»[٢٧]. إلى هنا انتهى استنتاج المستشرق في بنائه القسري للتوافق بين يوم الاثنين من شهر ربيع الأول على أنه اليوم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ واليوم الذي بعث فيه والذي هاجر فيه إلى المدينة المنورة وهو اليوم الذي توفي فيه، وبيّن ما يهدف إليه المستشرق بأن المسلمين

اختاروه كذلك تقليدا للتوقيت التوراتي لولادة النبي موسى ﷺ ولوفاته، علما أن المستشرق في نهاية استنتاجه قد رجّح تاريخا آخر وهو يوم ٧ من شهر أدر على حساب رأي آخر وهو اليوم الأول من هذا الشهر، بمعنى أنه أيضا قد وقع في خطأ الاختيار الدقيق لولادة النبي موسى ﷺ ! . فالنقاط التي أوردها المستشرق روبين في هذا النصّ تقتضي بالضرورة أن العرب في الجزيرة العربية والمسلمين في مكة والمدينة المنورة في عهد رسول الله ﷺ كانوا على معرفة دقيقة وعلى متابعة دقيقة ومستمرة أيضا بالتقويم العبري وبالتاريخ العبري، وبما يتعلق بتاريخ النبي موسى ﷺ منذ ولادته حتى وفاته؛ ولذلك فإنهم اختاروا شهر ربيع الأول وهو شهر أدر اليهودي وانه الشهر الذي ولد فيه النبي موسى ﷺ فاتّخذه المسلمون -الصحابةُ منهم والرواة ومؤلفو السير- شهرا لسيرة نبينا ﷺ وحياته، كذلك فإنهم اختاروا يوم الاثنين وهو اليوم الذي ولد فيه النبي موسى والنبي عيسى ﷺ على حدّ قول المستشرق، فاختاروه يوما لولادة رسول الله ﷺ[٢٨]. لكن ثمة ملاحظات على مثل هذا التخبط والتخرص ومحاولة التوظيف والتسويف للأحداث التاريخية لمصلحة عَقَديّة هادفة من المستشرق، فليس هنالك من دليل على انتشار التقويم العبراني، وكذلك ليس هنالك من دليل على انتشار اللغة العبرانية أيضا في الجزيرة العربية، اللهم إلّا بعد هجرة المسلمين المهاجرين إلى المدينة فأصبحوا على معرفة بحياة اليهود الدينية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية وربما اللغوية، فيذكر لنا الترمذي في كتابه الجامع الكبير «أن رسول الله ﷺ قد أمر -في السنة الرابعة من الهجرة إلى المدينة- زيد بن ثابت بأن يتعلم اللغة العبرانية، معللاً ذلك بأنه لا يأمن اليهود على كتابه». قال زيد بن ثابت: «أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كتاب يهود، قال: ما آمن يهود على كتاب. قال: فما مرّ بي نصف شهر، حتى تعلمته له. قال: فلما تعلمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأت له كتابهم»[٢٩]، على الرغم من عداء اليهود للمسلمين منذ اللحظات الأولى للإسلام في المدينة، وعلى الرغم من غطرسة اليهود وتكبرهم وازدرائهم بالمهاجرين والمسلمين على حدّ سواء لاعتقادهم بأن المسلمين أقل تحضرا منهم. وواقعا فإن التقاويم التي كانت متداولة آنذاك في الجزيرة العربية ومكة والمدينة وبلاد الشام ومصر هي: التقاويم الشمسية والتقويم الروماني والتقويم اليوناني والتقوم القمري والتقويم الهجري وتقويم الاسكندر والتقويم المصري القديم والتقويم القبطي والتقويم الفارسي فضلا عن التقويم العبري. ولغرض مناقشة المستشرق ومحاججته سأتناول هذه المسألة على وجه التحديد على وفق عدة اتجاهات، وهي الآتي:

أولا: ما له علاقة بالمفهوم العربي الإسلامي للتقويم (نقطة عامة):

الحمد لله فإن هناك عددا من العلماء المسلمين ممّن صنّف كتبا عن التقاويم والأزمنة نظير المسعودي المتوفى

سنة ٣٤٦ هجرية في كتابه المعروف مروج الذهب ومعادن الجوهر، وأبي الريحان أحمد بن محمد البيروني المتوفى سنة ٤٤٠ هجرية في كتابه الآثار الباقية عن القرون الخالية، وأحمد بن محمد المرزوقي الأصفهاني المتوفى سنة ٤٢١ هجرية في كتابه الأزمنة والأمكنة. وهذه المؤلفات تعدّ من أوائل الكتب التي كتبت عن التقويم باللغة العربية.

فالملاحظ أن العرب في عصر ما قبل الإسلام (الجاهلية) لم يكونوا جاهلين بالمرة بالتقويم بله لم يكونوا غافلين عن أي تقويم خاص بهم بشأن معاني الشهور والأيام وخصائصها وأهميتها؛ فنلحظ أن العرب قبل الإسلام كانوا قد عرفوا أسماء الشهور قبل أن تستقر على أسمائها التي نستعملها الآن، ولم يستعملوا هذه الأسماء في زمن واحد ولا مكان واحد، بل في أزمنة الشهور العربية قبل الإسلام، والتقويم الهجري والتقويم القمري يُطلق عليه أيضًا التقويم الإسلامي، وكان العرب قبل الإسلام يستعملون السنة القمريَّة منذ أقدم العصور، لكن لم يكن كلُّ العرب في أنحاء الجزيرة مجمعين على تقويمٍ محدَّدٍ يعتمدونه لقياس الوقت أو لتأريخ أحداثهم. وعلى الرغم من اختلافاتهم فإنَّهم عرفوا التقويم القمري وبنوا شهورهم على أساسه. ولم يقتصر التاريخ الهجري على مجرد تحديد الأيام والشهور والتقويم، بل كان أثره كبيرًا في المسلمين؛ إذ ارتبط بحياة المسلمين وعباداتهم ارتباطًا وثيقًا، وأصبح رمزًا وهُويَّةً للمسلمين. فكانت السَّنة القمريَّة عند العرب قبل الإسلام تتكوَّن من اثني عشر شهرًا كما هو الحال الآن، وقد نبَّه الله تعالى على عدد هذه الشهور في كتابه الكريم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ ﴿سورة التوبة الآية ٣٦﴾. ويعتمد المسلمون فيها على الأهلَّة؛ فكلُّ اثني عشر هلالًا سنة، فيكون عدد أيَّامها ثلاثمائةٍ وأربعة وخمسين يومًا. وأعطى العرب قبل الإسلام أسماءً خاصَّةً للشهور قبل أن يستقرُّوا على الأسماء المعروفة بها الآن، أمَّا الشهور التي نستعملها الآن فقد استقرَّت أسماؤها في مستهلِّ القرن الخامس الميلادي على الأرجح، ويُقال: إنَّ أوَّل من سمَّاها كعبُ بن مُرَّة الجدُّ الخامس لرسول الله ﷺ؛ وأسماء الشهور في الجاهليَّة هي: المحرَّم: (المؤتمر)، وصفر: (ناجر)، وربيع الأوَّل: (خَوَّان أو خُوَّان)، وربيع الآخر: (وُبْصَان أو وَبْصَان)، وجمادى الأولى: (الحَنين)، وجمادى الآخرة: (رُنَّى أو رُبَّى)، ورجب: (الأَصَمُّ)، وشعبان: (عاذِل)، ورمضان: (ناتق)، وشوَّال: (وَعِل)، وذو القعدة: (وَرْنَة، أو هُوَاع)، وذو الحجة: (بُرَك)، وقد أجمل الشاعر أسماء هذه الشهور في قوله:

أَرَدْتَ شُهُورَ العُرْبِ في الجَاهِلِيَّةِ ... فَخُذْهَا عَلَى سَرْدِ المُحَرَّم تشتَرِكْ

فمؤتمرٌ يـــــأتي ومِن بَعْدُ ناجر ... وخَوَّانُ مع صُوَان يُجْمَعُ في شَرَكْ

حَنينٌ وزَبَّـــــا والأصَمُّ وعادل ... ونافِق مَعْ وَغْلٍ وَرَنَّةُ مَعْ بُرَكْ (٣٠)

وقد أفرد المرزوقي في كتابه (الأزمنة والأمكنة) بابا هو الباب الخامس عشر يتعلق بأسماء الشّهور على اختلاف اللّغات، وذكر اشتقاقاتها، وجعل هذا الباب في فصلين: فصل [في بيان] معنى الشّهر قال في ذلك: «إنّ النّاس ينظرون إلى الهلال فيشهرونه يقال: محرّم و محرّمان و محاريم و محرّمات؛ وإنما سمّي محرّما لأنّهم كانوا يحرّمون القتال فيه و صفر و صفران و أصفار؛ وسمّي صفرا لأنّهم كانوا يغزون الصّفرية وهي مواضع كانوا يمتارون الطّعام منها، وقيل: لأنّهم كانت أوطانهم تخلو من الألبان ومن كلامهم: نعوذ بالله من صفر الإناء و قرع الفناء».

وثانيا: ما يتعلق برؤية المستشرق روبين التوراتية في سيرة نبينا ﷺ:

المهم جدا أن البروفسور روبين قد غالى كثيرا جدا في تفسيراته عن التأثير التوراتي في المسلمين، سواء كانوا من الصحابة (رضوان الله عليهم) أم من الرواة أم من مؤرخي سيرة النبي ﷺ، والحقيقة أنه اضطر في سبيل تحقيق هدفه هذا إلى عدم الصراحة بله وإلى التحريف والتزوير لمجرد استغلال النصّ في إثبات مزاعمه في التوكيد على مثل هذا التأثير اليهودي.

ولنبدأ بأول بمسألة عرضها في النقطة (أولا) بشأن التسلسل الزمني لحياة سيد المرسلين محمد ﷺ التي مفادها أن المسلمين أرادوا لسيرة النبي ﷺ أن تكون مشابهة لسير الأنبياء السابقين وعلى وجه الخصوص لسيرة النبي موسى ﷺ وبدءا من ولادته، أي النبي موسى ﷺ، إلى خروجه من مصر إلى وفاته، وذلك باختيارهم -والمقصود المسلمون بشكل عام من دون تحديد كما أسلفنا ذكره- يوم الاثنين يوما لولادة سيد المرسلين وبعثته وهجرته إلى المدينة المنورة، إلى وفاته ﷺ، وهو أمر مغالى فيه إلى أبعد الحدود؛ إذ ليس هنالك من مفصل في ولادة نبينا ﷺ وحياته يتشابه مع سيرة النبي موسى ﷺ وحياته؛ لأنه بحسب ما أورده القرآن الكريم في عدة آيات مباركات وبحسب التوراة والكتب المقدسة اليهودية كسفر الخروج وفي الكتاب اليهودي الذي يعتمد عليه المستشرق « آثار العصور القديمة لليهود THE Antiquities of the Jews» ؛ بقلم Flavius Josephus فإنه قد ولدته أمه سرّا خوفا من الملك في مصر (فرعون)، الذي كان قد اتّخذ قرارا ، اعتمادا على أحد كتّابه الذي كان مفسرا للأحلام، وهذا هو الذي أبلغ الملك بأن طفلا سيولد اليوم لبني إسرائيل، من دون ذكر اسم يوم ولادته، وأنه إذا بقي حيّا سيؤدي إلى إنهاء الهيمنة المصرية وسيعلي من شأن الإسرائيليين، وسينال المجد والعظمة وسيبقى مذكورا في التاريخ من قبل جميع الأعمار، [النصّ بالإنجليزية وهي لغة مترجم النصّ العبراني] [٣١]:

told the king, that about this time there would a child be born to the Israelites,

who, if he were reared, would bring the Egyptian dominion low, and would raise the Israelites; that he would excel all men in virtue, and obtain a glory that would be remembered through all ages

فأمر الملك أن يلقى بكل طفل إسرائيلي يولد في هذا اليوم في نهر النيل. وهكذا كانت قصة ولادة النبي موسى وكيف أن أمه قد وضعته في سلة وألقته في النهر، ثم ما جرى على النبي موسى من أحداث لاحقة إلى حين خروجه إلى مدين ثم إلى زواجه حتى وفاته ﷺ؛ فجميع هذه الأحداث لم يمرّ بها نبينا ﷺ. فكيف –إذن– وجد المسلمون أو رواة السيرة النبوية ومؤرخوها –بحسب رؤية المستشرق– تلك الأسوة ليتبنوها ويتخذوها بله ويقلدوها في روايتهم عن نبيهم، وعن سيرة سيد المرسلين ﷺ؟. فضلا عن ذلك فإن يوم ولادة النبي موسى ﷺ مجهول وولادته كانت سريّة خوفا من الملك، حتى أن الآيات القرآنية الكريمة والروايات المعتمدة على التوراة ومؤلف كتاب آثار العصور القديمة لليهود الآنف الذكر فلافيوس جوزيف Flavius Josephus قد اكتفى في عنوان الفصل المتعلق بأحداث الولادة بذكر عنوان الفصل وهو

CHAPTER 9. Concerning The Afflictions That Befell The Hebrews In Egypt, During Four Hundred Years.

وترجمته: الفصل التاسع «ما يتعلق بالآلام التي كانت تحيق بالعبرانيين في مصر خلال أربعمائة عام». وقد راجعت عددا من المصادر اليهودية بضمنها سفر الخروج الذي يعدّ ثاني أسفار العهد القديم الجزء ١ ص ١٠ والجزء ٢ من ص ١ إلى صفحة ١٠ وهي الصفحات التي ترد فيها المعلومات عن القصة التي ذكرناها توا، وكتبا أخرى عن ولادة النبي موسى ﷺ فلم أجد شيئا إطلاقا عن اليوم والشهر اللذين ولد فيهما النبي موسى. فمما يذكر نصّا في سفر الخروج (وهو نصّ توراتي) الجزء ٢ هو النصّ المترجم إلى الإنجليزية الآتي:

The birth of Moses occurred at a time when Pharaoh had commanded that all male children born to Hebrew captives should be thrown into the Nile (Ex. ii.; comp. i.). Jochebed, the wife of the Levite Amram, bore a son, and kept the child concealed for three months. When she could keep him hidden no longer, rather than deliver him to death she set him adrift on the Nile in an ark of bulrushes. The daughter of Pharaoh, coming opportunely to the river to bathe, discovered the babe, was attracted to him,

adopted him as her son, and named him “Moses.” Thus it came about that the future deliverer of Israel was reared as the son of an Egyptian princess (Ex. ii. 1-10)

وترجمة هذا النصّ حرفيا: «إن ولادة موسى قد حدثت في الوقت الذي كان فرعون قد أمر بقتل جميع الأطفال الذكور الذين ولدوا للعبرانيين الأسرى وأن يلقوا في نهر النيل. وإن جوشبد، زوجة أمرام اللاوي، قد ولدت ابنا، فأخفته مدة ثلاثة شهور. ولما علمت بأنها لا يمكنها إخفاءه مدة أطول، وإلا تسلمه إلى الموت هيأت له طاف من غبر مرساة adrift تحت رحمة التيار والرياح في النيل في صندوق من البردي. وكانت ابنة فرعون قد جاءت بالصدفة إلى النهر لتستحم، فاكتشفت الطفل الرضيع، وانجذبت إليه، وتبنته على أنه ابنها، وأطلقت عليه اسم «موسى». وهكذا حدث بأن المنجي المستقبلي لإسرائيل تم تربيته كابن لأميرة مصرية». وفي رواية أخرى كذلك وردت في سفر الخروج الجزء الأول الصفحة رقم ١٠ وفيها تفصيل آخر للرواية المذكورة قبل أسطر والقصة تدلي بمعلومات توضيحية إضافية ترجمتها «اعتمادا على كتاب سفر الخروج ان موسى ولد في وقت حينما كان شعبه، الإسرائيليون، أقلية مستعبدة، قد تزايد حجمها ونتيجة لذلك فإن فرعون مصر أصبح قلقا بشأن تزايد السكان الإسرائيليين لأنهم ربما يتحدون ويتحالفون فيما بينهم. ولهذا فإن أم موسى العبرانية، جوشبد Jochebed ، أخفته سرا عندما أمر فرعون بقتل جميع الأولاد المولودين حديثا وذلك من أجل تقليل عدد السكان الإسرائيليين. ومن خلال ابنة الفرعون (تلك التي قد حددت هويتها بالملكة بثيا Bithia) التي تبنت الطفل بكونه طفلا قد وجد في نهر النيل وبذلك تربى مع العائلة المصرية الملكية» ، هامشExodus 1:10 ; Douglas K. Stuart (2006). Exodus: An Exegetical and Theological Exposition of Holy ScripturePublishingGroup.pp.110–13.

هذان النصّان هما من المصدر اليهودي المعترف به من قبل المستشرق روبين وهو لا يشير من قريب أو من بعيد إلى ذكر أي تاريخ لليوم ولا للشهر الذي ولد فيه النبي موسى ﷺ، فمن أين جاء المستشرق بتلك المعلومة التي بنى عليها استنتاجاته الغريبة؟ والتي أراد من خلالها أن يفرض رؤيته التوراتية على هذا المفصل المهم جدا من حياة نبينا محمد ﷺ! .

According to the Book of Exodus, Moses was born in a time when his people, the Israelites, an enslaved minority, were increasing in population and, as a result, the Egyptian Pharaoh worried that they might ally themselves with Egypt’s.[9] Moses’

Hebrew mother, Jochebed, secretly hid him when the Pharaoh ordered all new-born Hebrew boys to be killed in order to reduce the population of the Israelites. Through the Pharaoh's daughter (identified as Queen Bithia in the Midrash), the child was adopted as a foundling from the Nile river and grew up with the Egyptian royal family Exodus 1:10

1Exodus 1:10; Ex. ii.; Filler, Elad. "Moses and the Kushite Woman: Classic Interpretations and Philo's Allegory". TheTorah.com. Retrieved 11 May 2019; Miller , Robert D. (25 November 2013). Illuminating Moses: A History of Reception from Exodus to the Renaissance. BRILL. (25 November 2013). p. 21; Douglas K. Stuart (2006). Exodus: An Exegetical and Theological ExpositionofHolyScripture.pp.110–13

كذلك ليس هنالك أي ذكر في النصّ الآنف الذكر لشهر أدر على أنه الشهر الذي ولد فيه النبي موسى. إن هذا التحريف والتشويه سيكون عنصرا للمحاججة أدناه في مسألة ولادة رسول الله ﷺ في شهر ربيع الأول ذلك الذي يراه المستشرق إن هو إلا انعكاس للرواية اليهودية عن ولادة موسى ﷺ، وان المسلمين أرادوا أن يكتبوا لسيرة رسول الله ﷺ سيرة تشابه سير الأنبياء السابقين وبالأخص سيرة النبي موسى عليه و(عليهم السلام)، اللهم إلّا في أنهما أي رسول الله ﷺ والنبي موسى ﷺ يشتركان في المعتقد الإلهي نفسه، ويشتركان في الاتهامات الباطلة التي اتهمهما بها قومهما، المكيون القرشيون في مكة والمصريون أتباع الفرعون في مصر، بحسب ما ورد في القرآن الكريم في سورة القصص الكريمة الآية ١٩ التي يقول فيها عزّ من قائل: ﴿ **فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَا مُوسَى أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ** ﴾، وما ورد في سورة يونس، الآيات ٧٦ –٧٨ التي قال فيها الله تعالى: ﴿ **ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (٧٥) فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ (٧٦) قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ (٧٧) قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ (٧٨)** ﴾.

فالنصّ الحرفي لكلام المستشرق عن ولادة النبي موسى ﷺ في شهر أدر هو:

This prophet was born and died in the same month, Adar. In the converted Is-

lamic version of this tradition, Adar was replaced by its most natu ral equivalent in the Arabian calendar, Rabi' al-awwal. The term rabi' does not just stand for a calendar month, but also denotes a season, the very season in which the Hebrew Adar always falls-spring. More specifically, Adar falls on the vernal equinox (21 March), which the Arabs called al-istiwä' al-rabi'i. Therefore, Adar actually marks the transition from shitä' (winter) to rabi' (spring). 10 As for the Jewish tradition, Adar was probably chosen for the chronology of Moses because it was the last month in the ancient Hebrew cal- endar, so that the birth of Moses occurred on the verge of a new year. The same seems to apply to Jesus.

وترجمة هذا النصّ: «هذا النبي (يعني موسى) قد ولد وتوفي في الشهر نفسه، أدر. وبتحويله إلى الرواية الإسلامية فإن أدر قد حلّ محله ما يعادله تقريبا في التقويم العربي، ربيع الأول. وإن مصطلح الربيع لم يكن المقصود به الشهر التقويمي، ولكن أيضا يشير إلى فصل، الفصل نفسه الذي يقع فيه دائما الربيع. وعلى وجه التخصيص فإن أدر يقع في الاعتدال الربيعي (٢١ آذار)، ذلك الذي يطلق عليه العرب الاستواء الربيعي. وبناءً على ذلك، فإن أدر يشير إلى التحول من الشتاء إلى الربيع. وفيما يتعلق بالرواية اليهودية، فإن أدر ربما قد اختير للتسلسل الزمني لسيرة موسى وذلك لأنه الشهر الأخير في التقويم العبري القديم؛ ولهذا فإن ولادة موسى تقع على حافة سنة جديدة، والشيء نفسه طبق وصحّ على عيسى» . أقول: إن هذه الاستنتاجات المتخبطة والمحرّفة هي غير موجودة إطلاقا في القصة اليهودية، سواء كانت في سفر الخروج أو في الكتاب اليهودي «آثار العصور القديمة لليهود» أو في دائرة المعارف اليهودية أو دائرة المعارف الإسلامية أو المصادر المذكورة توا، فمن أين أتى المستشرق روبين بكل ذلك ؟! . والأنكى من ذلك كله أن البروفسور روبين لم يذكر مصادر معلومته هذه، فليس هنالك ذكر لأي من الأسفار اليهودية، وكذلك المصادر اليهودية القديمة والحديثة؛ ولم أجد في هوامشه سوى استشهاد بكتاب فلافيوس جوزيفوس Flavius Josephus الموسوم بـ«آثار العصور القديمة لليهود» الذي ترجمه وليم وستون إلى الإنجليزية William Whiston وصدر في سنة ٢٠٠٩ . والكتاب هذا يتألف من سبعة أسفار أو كتب عبرية، فالكتاب الأول يحتوي على قصة الخلق منذ بدء الخليقة إلى مدة تمتد إلى ثلاثة آلاف وثمانمائة وثلاث وثلاثين سنة، والسفر أو الكتاب الثاني يحتوي على فترة مائتين وعشرين سنة، من

موت إسحاق إلى فترة الخروج من مصر، والفصل التاسع من هذا الكتاب هو الذي يتعلق بولادة موسى عليه السلام، والكتاب السابع والأخير يحتوي على فترة أربعين سنة، بدءا من موت شاؤول إلى وفاة داوود[٣٢]. وهو المصدر الوحيد الذي أثبته المستشرق لتوكيد معلوماته عن ولادة النبي موسى يوم الاثنين وفي شهر أدر، الفرضية التي استنتج منها التأثير التوراتي اليهودي في سيرة المصطفى رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفضلا عن الذي سبق ذكره علينا أن نقف على مسألة مهمة أخرى وهي أن المستشرق روبين كأنه يعتقد بأن العرب قبل الإسلام كانوا لا يعرفون شهر ربيع الأول وربيع الآخر بله كانوا لا يعرفون خصائصها الطبيعية والاقتصادية ولا يميزون بين أيام الأسبوع وخصائصها ومزاياها !. ففيما يتعلق الأمر بشهري ربيع الأول وربيع الآخر اللذين يميزان عن غيرهما في سيرة سيد الأنام صلى الله عليه وآله فقد سُمِّيا بربيعين لارتباع الناس والدواب فيهما، وهما بحسب أبي الريحان البيروني «شهرا الربيع للزهر والأنوار وتواتر الأندية والأمطار وهذه نسبة إلى طبع الفصل الذي يسمى الخريف وكانوا يسمونه ربيعا أي إقامتهم»، ولهذين الشهرين معانٍ واشتقاقات في اسمائهما فقيل: ربيع الأول هو خَوَّان أو خُوَّان. فهو من «الخَون وهو النَّقص؛ لأنَّ الحرب يكثر ويشتدُّ فيه فيتخوَّنهم أي يتنقَّصهم، وقد يكون من الخيانة». أما ربيع الآخر فهو «وُبْصَان أو وَبْصَان. فهو من الوبيص أي البريق، ومن قال: بُصان فهو من البصيص». وابن درستويه المتوفى سنة ٣٤٦ هجرية في كتابه (كتاب الكتّاب) يقول إن الربيع هو الغيث فهو شهر غيث. فالعرب –إذن– كانوا على معرفة بخصائص شهورهم وصفاتها لا كما تعكسه رؤية المستشرق روبين. ويقال «شهر (ربيع الأول) والأوّل فمن خفض ردّه على ربيع ومن رفع رده على الشّهر. وكذلك شهرا ربيع الأوّلان والأوّل وشهور ربيع الأوائل والأوّل –وكذلك حكي ربيعا الأول وأربعة الأول– وقالوا: أربعة الأوليات والأوّل وربيعا (الآخر) وأربعة الأواخر والآخر. وسمّيا ربيعين لارتباع القوم– أي إقامتهم– ويسمّى ربيع الأوّل (خوان) مخفف. وقال الفرّاء: بعضهم يقول خوان والجمع أخونة وخوانات». قال لقيط الإيادي:

و خـــــاننا خوان في ارتبــاعنا فانفد للسّارح من سوامنـــــا

وقال الآخر:

وفي النّصف من خوان ودّ عدوّنا بأنّه في أمعاء حوت لدى البحر

واشتقاقه من الخون وهو النّقص؛ لأن الحرب يكثر ويشتد فيه فيتخونهم أي ينتقصهم، ويسمّى ربيع الآخر

(ويصان) مضموم خفيف، وقال الفراء: بعضهم يقول: بصان، وبعضهم يجعل الواو أصلا فيقول: وبصان فيجزم الباء والجميع بصانات وأبصنة. قال:

و سيّـــان بصان إذا مـا عددته و برك لعمري في الحساب سواء

واشتقاقه من الوبيص وهو البريق، أو من البصيص. وأنشد شعرا:

و يوم كأنّ النّار يوقدها له هواجر وبصان عسفت بـــــه الحرقا

على ما يرى الضّبعين يشبه دالجا أحال بدلويه على حـوضه دفقا [٣٣]

وقد عرف العرب الشهور الأخرى أيضا فقالوا: (جمادى الأولى) وجماديان وجماديات وجماديا الأولى -وقالوا: الأوليين- وجماديات الأولى والأوّل والأوائل، و(جمادى الأخرى) والأخريين وجماديات الأخرى والآخر والأواخر، قال الشاعر:

إذا جمـــادى منعـــت درّها زان جنـــــابي عطـن مغضف

ورمضان ورمضانات ورماضين وسمّي رمضان لشدّة وقع الشّمس وتناهي الحرّ فيه ويقال: هذا شهر رمضان وهذا رمضان. وشوّال وشوّالان وشوّالات وشواويل وسمّي بذلك لشولان الإبل بأذنابها عند اللّقاح، ويقال سمّي بذلك لأنّ الألبان تشول فيه وتقل. ويقال: شال اللّبن وشال الميزان إذا خفّا. وذو القعدة وذواتا القعدة وذوات القعدة، سمّي بذلك لقعودهم في رحالهم لا يطلبون كلأ ولا ميرة. وذو الحجّة وذوات الحجّة لحجّهم وقالوا: ذواتا القعدتين، وذوات القعدات وكذلك قيل في ذي الحجّة، ويقال: شهر ناجر لشدّة الحر، ومنه نجر من الماء إذا جعل يشرب فلا يروى.

ولأبي الريحان البيروني رأي أيضا في مسألة الشهور عند العرب فيذكر: «ولقد قيل في علل أسامي الشهور أقاويل منها انه قيل في تسمية المحرّم بهذا الاسم لكونه من جملة الحرم، وصفر لامتيارهم في فرقة تسمى صفريّة، وشهري الربيع للزّهر والأنوار وتواتر الأندية والأمطار، وهو نسبة إلى طبع الفصل الذي نسميه نحن الخريف وكانوا يسمّونه ربيعا». وقال المسعودي في مروج الذهب: «وربيع وربيع لارتباع الناس والدواب فيهما». أمّا ابن درستويه في كتابه «الكتّاب» فيقول: «وربيع إنّما هو اسم الغيث وليس الغيث بالشهر ولكن الشهر شهر غيث وصار ربيع اسما للغيث». وفي تسمية شهري جمادي لجمود الماء فيهما، ورجب لاعتمادهم الحركة فيه لا من جهة القتال والرجبة العماد ومنه قيل عذق مرجّب، وشعبان لتشعب القبائل فيه، وشهر رمضان للحجارة

ترمض فيه من شدة الحرّ، وشوّال لارتفاع الحرّ وإدباره، وذي القعدة للزومهم منازلهم، وذي الحّجة لحجهم فيه. ويوجد للشهور العربية أسامٍ أخر قد كان أوائلهم يدعونها بها، وهي هذه: المؤتمر، ناجر، خوّان، صوّان، حنتم، زبّاء، الأصم، عادل، نافق، واغل، هواع، برك[٣٤]. وهناك تفاصيل أخرى بيّنها أبو الريحان البيروني عن هذه الشهور لا مجال لذكرها جميعها هنا وتمتد إلى صفحة ٦٣ [٣٥].

لكن العرب على الرغم من اعتمادهم على شهور السنة القمرية، فإنهم لم يعتمدوا تقويما خاصا بهم يؤرخون به أحداثهم دائما، إنما كانوا يعتمدون في تأريخهم لأحداث حياتهم الهامة حوادث تاريخية محددة، إذ أرخوا لبناء الكعبة من قبل إبراهيم الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام بعام العذر، وهو العام الذي نهب فيه بنو يربوع ما أنفذه بعض ملوك بني حمير إلى الكعبة عام ٤٦١ ق. م. وبانهيار سد مأرب في اليمن في سنة ١٢٠ ق. م. تقريبا وبوفاة كعب بن لؤي، الجد السابع لرسول الله محمد ﷺ سنة ٥٩ ق. م ، وبعام الفيل، وهو العام الذي ولد فيه رسول الله محمد ﷺ سنة ٥٧١م، وبحرب الفجار[٣٦].

وهناك ملحوظة مهمة وهي أن العرب في عصر قبل الإسلام قد تأثروا بالسريان في تسمية الأشهر الميلادية، ومن بين هذه الشهور آذار ونيسان فيقول البيروني: «وقد اشتهرت هذه الشهور [يقصد السريانية] حتى استظهر بها المسلمون، وقيدوا بها ما احتاجوا إليه من أوقات الأعمال، وعرّبوا قديم (في أصل تشرين قديم) الأول وعرّبوا حراي (في أصل شهر تشرين حراي) وهو الآخر وزادوا في في شهر أير ألفا حتى صار أيار»[٣٧]، والحقيقة أن السريان قد أخذوا نظامهم التقويمي هذا من السومريين والبابليين، فكان نيسان في البابلية نيسانو أو نيسان وكان الاحتفال بالسنة الجديدة يتم عموما في أواخر شهر آذار وبداية شهر نيسان حيث يتم الاحتفال بعيد الربيع وتجدد دورة الفصول ما يسمى (عيد اكيتو). ولقد بقي هذا اللفظ السومري (اكيتو) حتى اليوم بصيغة (القوت) التي تدل على الغذاء. وفي شهر نيسان تتم قيامة إله الخصوبة فحينئذ يعود الغذاء إلى البشر. والأمر المثير أيضا أن الصفات التي بيّنها المسعودي والبيروني عن صفات شهري شباط وآذار متشابهة، فشهر شباط كان في السومرية اسمه (زيز-ام) وفي البابلية اسمه (شباطو) وهو الوقت الذي تنزل فيه زخات المطر. أما شهر آذار فكان اسمه في السومرية (شي-غور- كو) وفي البابلية (ادر- أو ادارو) كاللفظ الذي أشار إليه المستشرق روبين. ونرى في اسمه البابلي صيغة در- يدر أي نزول المطر[٣٨]. ويذكر البيروني أن العرب «تعلموا الكبس من اليهود المجاورين وذلك قبل الهجرة بقرابة من مائتي سنة فأخذوا يعملون بها بما يشاكل فعل اليهود من إلحاق فضل ما بين سنتهم وسنة الشمس شهرا بشهورها»[٣٩].

فيوم الاثنين مثلا، ذلك الذي يعتقد المستشرق روبين أن المسلمين قد اختاروه إنّما هو مستمد stem from من الرواية اليهودية. وهذا غير صحيح؛ فالمرزوقي المتوفى سنة ٤٢١ هجرية قد أشار إلى معنى يوم الاثنين وأهميته فقال: إن العرب يصفون الاثنين: أهون و أوهد فأهون من الهون وهو السّكون من قوله تعالى: ﴿ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً ﴾ ﴿ سورة الفرقان الآية٦٣ ﴾، وأوهد يدلّ على هذا المعنى؛ لأنّ الوهدة الانخفاض كأنّهم جعلوا الأوّل أعلى ثم انخفضوا في العدّ. وحكى سيبويه: هذا يوم اثنين مباركا فيه (ص ١٩٩). وذكر أصحاب السّير أنّ أولاد نوح ﷺ عزموا على المسير في الأرض ليروها، ويختاروا منها موطنا لمطافهم وأوطانهم فبدأوا بمسيرهم في يوم الأحد فسمّي الأوّل، (ثم لمّا كان اليوم الثّاني) كان السّير الذي شق عليهم في الأوّل أخفّ فسمّي الاثنين أهون. (م.ن. ص٢٠١).

وللعرب في ذكر الأيام معانٍ وخصائص، فيوم الأحد هاهنا اسم وأصله: وحّد وقد يكون صفة مثل قوله: بذي الجليل على مستأنس وحد. ومعنى الواحد الذي لا ثاني له وإنّما لم يثنّ وهو اسم لأنه متى ثنّي خرج من أن يكون واحدا، فلذلك لم يقل: وحدان، وإبدال الهمزة من الواو المفتوحة جاء في أحرف معدودة. والاثنان من ثنّيت الشيء إذا ضعّفته ثنيا ثم يسمّى المثنّى ثنيا، ولا يقال في أحد اثن، لأنّه إذا أفرد عما يثنّى به لم يستحقّ هذا الاسم. فأمّا الثّلاثاء والأربعاء والخميس فإنّها وإن أريد بها ما يراد من أسماء العدد إذا قلت ثلاثة وأربعة وخمسة، فإنّ في تغيّر الأبنية لها قصد. وسيبويه قال: أحبّوا في الأوقات أن يحصوها بأبنية تلزمها من بين سائر المعدودات، وشبّهها بقولهم: عدل وعديل ووزين ووزان في الفصل بين الأجناس. وحكى سيبويه: هذا يوم اثنين مباركا فيه. واستدلّ على تعريفه بانتصاب الحال بعده، كما أنّ عروبة، والعروبة للجمعة كذلك، والسّبت سمّي به قيل: للراحة، ومنه السّبات النّوم، ويقال: انسبت الرّجل إذا اعترته سكتة. وقيل: أصل السّبت القطع. ومنه السّبات لأنّه يحول بين التمييز وصاحبه، ويقطعه عن عادته وتصرّفه، ويقال: سبتوا عنقه إذا قتلوه. والمنسبت من النّخل: ما يجري الإرطاب في جميعه، فكأنّه انقطع من حدّ البسر، ويقال لضرب من النّعال: السّبت، وإنّما هي التي قد نثر شعرها. ويقال: إنّ السّبت إنّما سمّي لما أخذ على اليهود في السّبت ونهوا عنه في هذا اليوم مما هو مباح في غيره، وانقطاع حكمه من حكم غيره، ومن جعل السّبت إنّما يسمّى به للرّاحة، يقول قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ وَ ما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ ما مَسَّنا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ ﴿ سورة ق الآية: ٣٨ ﴾ هو ردّ على اليهود في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ آخرها يوم الجمعة واستراح في يوم السبت فردّ الله ذلك عليهم وأبطل قولهم. وسمّي السّبت: شيارا و اشتقاقه من شيرت الشيء إذا أظهرته

وبيّنته، ويقال: شيراي حسن الشيارة وهي ظاهر منظره، ومن هذا قيل: القوم يتشاورون أي يظهرون آراءهم كأنّ كلّ جماعة منهم يظهرون ما عندهم ويعرضونه. ويجوز أن يكون قولهم لخيار الإبل الشّيار من هذا الذي ذكرناه. وقيل للأحد: أوّل لأنهم جعلوه أوّل عدد الأيام. وقالوا للاثنين: أهون و أوهد فأهون من الهون وهو السّكون من قوله تعالى: ﴿يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾ ﴿سورة الفرقان الآية: ٦٣﴾ و أوهد يدلّ على هذا المعنى لأنّ الوهدة الانخفاض كأنّهم جعلوا الأوّل أعلى ثم انخفضوا في العد. وقالوا للثّلاثاء الجبار أي جبر به العدد، وأعظم به العدد وقوي، لأنّه حصل به فرد وزوج. وقيل للخميس: مؤنس لأنه يؤنس به لقربه من الجمعة وفي الجمعة التأهّب للاجتماع. وقيل للجمعة: العروبة لبيانها عن سائر الأيّام، والإعراب في اللّغة الإبانة والإفصاح، والعرب شوك البهمي والواحدة عربة، سمّي بذلك لأنّ الورق يسقط منه فيظهر الشّوك. فالتّأويل أنّه قد بان من الورق والعرابة عسل الخزم، سمّي به لأنّه يقال لثمرة العراب، والواحدة عرابة، وقد أعربت الخزم، ويقال للمرأة الغزلة هي عربة وعروبة أيضا. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْشَأْناهُنَّ إِنْشاءً فَجَعَلْناهُنَّ أَبْكاراً عُرُباً أَتْراباً﴾ ﴿سورة الواقعة الآية: ٣٥-٣٦﴾، وقيل: العروبة المتحبّبة إلى زوجها، ويقال للمتهلّل الوجه: عرابه. وبير عربة: كثيرة الماء. وقد قيل: العروبة بالألف واللّام وبغير الألف واللام كأنّه جعل علما، وأنشد فيه شعرا:

وإذا ترى الرّواد ظلّ بأسقف يوما كيوم عروبة المتطاول

(كتاب الأزمنة والأمكنة من صفحة ١٩٩ إلى ٢٠٥ أسماء الشهور).

إذن، فالمستشرق روبين لم يكتفِ بجعل اليوم والشهر لولادة رسول الله ﷺ متأثرا بالرواية اليهودية وإن هي إلا تقليد لها في سيرة النبي موسى ﷺ، بل امتدت تخيلاته إلى مفصل آخر من سيرة النبي محمد ﷺ ألا وهو ما ورد بشأن الأيام المفضلة لصيام النبي ﷺ، وان اختياره ليوم الاثنين والخميس هو أيضا قد تمّ اقتباسه من الرواية اليهودية تلك التي حددت يومي الاثنين والخميس على أنهما أيام الصوم عند اليهود وأن النبي موسى ﷺ اعتاد على صيامهما. فنقول للمستشرق روبين: إن كتاب الله العزيز قد جعل الصيام من الفرائض والشعائر الإسلامية المهمة على كل مسلم مؤمن فيقول الله تبارك وتعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ ﴿سورة البقرة الآية ١٨٣﴾، فكأن الآية الكريمة تخاطب من كان يؤمن بالله تعالى وبضمنهم من كان على شريعة موسى. فأنتم الأحياء في وقت نزول القرآن قد ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ**﴾ في الشريعة الجديدة (الإسلام) ﴿**كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ**﴾ وهم آباؤكم الذين كانوا عليها

من قبل نزول القرآن. فأنتم أيها الأحياء في وقت نزول القرآن يجب عليكم الصيام مع أصحاب النبي ﷺ ولكن ليكن صيامكم في شَهْر رَمَضَان كما تبيّنه الآية الكريمة من سورة البقرة ١٨٥ . وبمعنى آخر فإن هذه الآيات تظهر للعيان أن شريعة القرآن قد نسخت شريعة التوراة فبدّل الله اليوم والليلة التي كانت في شريعة التوراة إلى شهر رمضان، ويبدأ فيه الصيام من الفجر حتى الغروب. وذلك قول الله تعالى: ﴿ **فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ** ﴾ ﴿ البقرة ١٨٥ ﴾، فبدّل اليوم بشهر وبدل الليلة بقوله تعالى: ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ** ﴾ ﴿ سورة البقرة ١٨٧ ﴾، ومعنى (أُحِلَّ لَكُمْ) أنه كان محرماً في الشريعة اليهودية السابقة، وكذلك بدّل اليوم الواحد بأيام، فقال: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾، فبعد أن كان يوماً وليلة، صار أياما معدودات من غير ليالٍ، هكذا ينبغي على المستشرق أن يفهم وحدة الأديان وتطور الشعائر والطقوس وتغيرها.

وواقعا فإن العرب قبل الإسلام لم يعرفوا الصوم إلا من خلال ما كان متّبعاً في الديانتين اليهودية والمسيحية، أو ما كان متبعاً لدى الحنفاء منهم الذين كانوا على ما تبقّى من دين إبراهيم وإسماعيل. غير أنه يروى أن قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء وكانوا يكسون في هذا اليوم الكعبة بكسوة جديدة وذلك عندما أصابهم قحط ثم رفع عنهم ذلك القحط فكانوا يصومونه شكراً وتعظيماً لآلهتهم وأصنامهم. غير أنه من الأكثر تحقيقاً القول: إن صومهم لم يكن يعني الامتناع عن الأكل والشراب، بل كان يعني الامتناع عن الكلام لفترات محدودة.

ومّما يجدر ذكره هاهنا أنه ورد في صحيح البخاري الحديث رقم (١٩٠٠) وجاء فيه: «حدثنا أبو معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب حدثنا عبد الله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوهم فصامه موسى، فقال: فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه»، والحديث رقم1901)) وجاء فيه: «حدثنا علي بن عبد الله حدثنا أبو أسامة عن أبي عميس عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن أبي موسى قال : كان يوم عاشوراء تعدّه اليهود عيدا قال النبي ﷺ: فصوموه أنتم»[٤٠].

وكان الفريسيون)صدوقيون (بالعبرية: צְדוּקִים). وهم حزب سياسي ديني نشأ ضمن المجتمع اليهودي وذكر في العهد الجديد، فمن المعروف أنه خلال القرن الأول قبل الميلاد ثم خلال القرن الأول انقسم المجتمع الديني اليهودي إلى عدد من الأحزاب والجماعات السياسية داخل المؤسسة الدينية، وقد كان أكبر حزبين هما الصدوقيون والفريسيون. وقد ورد ذمُّهم كثيراً في «الانجيل»، إذ كوَّن الفريسيون مجموعة كبيرة من التعاليم المناقضة لشريعة النبي موسى ﷺ، بل وللشرائع أجمع). كانوا يصومون يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع

بدافع من تقواهم الخاصة، باعتبار أن الخميس هو يوم ذهاب موسى النبي ﷺ إلى الجبل لاستقبال الوحي الإلهي، ثم عاد من الجبل يوم الاثنين. ويصوم اليهودي في أيام الاثنين والخميس من كل أسبوع، فهي الأيام التي تُقرأ فيها التوراة في المعبد. والصيام عند اليهود نوعان: صيام فردي للتكفير عن خطيئة أو ذنب ارتكبه الفرد، وصيام جماعي وفيه يصوم اليهود جميعًا عند وقوع كارثة عامة، كهزيمة في حرب أو ذكرى الاضطهاد والتشريد أو دمار محصول أو أي بلاء عام يقع باليهود. ويندرج هذان النوعان تحت تصنيفات الصيام في اليهودية، الصوم الفرض كصوم يوم الغفران ويبدأ قبل غروب اليوم التاسع من تشرين «رأس السنة العبرية» بربع ساعة، ويستمر إلى ما بعد غروب شمس العاشر من تشرين بنحو ربع ساعة، بحيث تصل مدة الصيام إلى ٢٥ ساعة متتالية، ويُطلق عليه يوم «كيبور»، ويرتدي فيه الرجال وشاحًا أبيض، وترتدي النساء ملابس بيضاء. وصوم النفل، كصوم يوم ٩ من أغسطس، في خراب الهيكل المقدس. والصيام التطوعي كصيام يومي الاثنين والأربعاء، وصوم الحاخامات. ومن أيام الصيام التطوعي يوما الاثنين والخميس من كل أسبوع، وقد اختلفت الآراء حول أصل الصيام في هذين اليومين فقيل: إن اليهود يصومون فيه لأن النبي موسى ﷺ قد ذهب يوم الخميس إلى الجبل لاستقبال الوحي الإلهي ثم عاد من الجبل يوم الاثنين[٤١]، وجاء في سفر أستير Esther صيام استير الذي يقع في يوم الثالث عشر من شهر أدر[٤٢]، على الرغم من أن بعض اليهود اعتادوا على صيام ثلاثة أيام الاثنين الأول والثاني ويوم الخميس الذي يعقب ذلك وهو عيد البوريم اليهودي[٤٣].

فكان لليهود –إذن– عدد من الأيام للصوم، فما هو الوجه الذي يتخذ فيه رسول الله ﷺ والمسلمون يومين يتعلقان بذهاب النبي موسى إلى الجبل وعودته منه أياما مفضلة للصيام؟، اللهم إلّا ما ورد في الحديثين اللذين ذكرهما البخاري اللذين سبق ذكرهما. وبالمناسبة فإن المستشرق استشهد بالحديث الذي رواه التابعي مكحول الشامي أو مَكْحُول الهُذَلي وهو مكحول بن عبد الله، أبو عبد الله الشامي. محدِّث وفقيه وحافظ، وهو عالم أهل الشام، وكان من كبار أعلام التابعين، وأشهر فقهائهم في بلاد الشام. روى أحاديث مرسلة عن جماعة من الصحابة والتابعين. وذكر أنه قد أرسل في أحاديث له عن النبي ﷺ، وأرسل عن عدد من الصحابة لم يكن قد أدركهم. وحديثه أنه –أي مكحول– (كان يصوم يوم الاثنين والخميس، وكان يقول: ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، وبعث يوم الاثنين، وتوفي يوم الاثنين، وترفع أعمال بني آدم يوم الخميس)، وفي رواية أخرى للحديث فيه ذكر ليوم الاثنين من دون ذكر يوم الخميس قوله: (إن رسول الله ﷺ قال لبلال: ألا لا يغادرك صيام الاثنين، وأوحي إلي يوم الاثنين، وهاجرت يوم الاثنين، وأموت يوم الاثنين)[٤٤].

والحقيقة أن هناك اهتماما كبيرا من المحدثين ومن رواة السيرة النبوية المطهرة ومؤرخيها بمسألة صوم رسول الله ﷺ، والقارئ لهذا التراث الضخم لن يجد فيه أي نبرة أو مبحث يفيد بكون هذا الصوم، أي صيام يوم الاثنين أو الاثنين والخميس، هو تقليد لما كان بعض اليهود في المدينة المنورة يمارسونه في صيام هذين اليومين كما يرى المستشرق، فقد وردت هذه الأحاديث والروايات بأسانيد متنوعة عن الأئمة الأطهار عليهم السلام نظير: معاني الأخبار للشيخ الصدوق وكتابه الآخر الخصال وكتابه الثالث ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، وكتاب قرب الإسناد للشيخ أبي العباس عبدالله بن جعفر الحميري، وكتاب تفسير العياشي لمحمد بن مسعود العياشي، وكتاب المحاسن للشيخ أحمد بن محمد البرقي، وكتاب إعلام الورى بأعلام الهدى للشيخ الطبرسي عن أبان بن عثمان البجلي الأحمر عن الأئمة الأطهار عليهم السلام. وهناك اهتمام واسع بصوم رسول الله ﷺ في هذه المؤلفات الشيعية وغيرها بما يتعلق بالأيام التي كان رسول الله ﷺ والأئمة الأطهار يصومونها، فهناك (باب) في كتاب بحار الأنوار للمجلسي عنوانه «(صوم الثلاثة الأيام في كل شهر) وصوم البيض وصوم الأنبياء عليهم السلام». وجاء في كتاب قرب الإسناد للحميري «قال: سألته عن الرجل يكون عليه صيام الأيام من قبل شهر رمضان، يصومها قضاء وهو في شهر لم يصم أيامه؟ قال: لا بأس. وسألته عن الرجل يؤخر صوم الأيام الثلاثة من كل شهر حتى يكون في الشهر الآخر فلا يدركه الخميس ولا جمعة من الأربعاء يجزيه ذلك؟ قال: لا بأس. وسألته عن صيام الأيام الثلاثة من كل شهر يكون على الرجل يصومها متوالية أو يفرق بينها؟ قال: أي ذلك أحب»[٤٥].

وورد في كتاب قرب الإسناد أيضا عن «ابن طريف، عن ابن علوان، عن الصادق، عن أبيه عليهما السلام أن عليا عليه السلام كان ينعت صيام رسول الله ﷺ، قال: صام رسول الله ﷺ الدهر كله ما شاء الله، ثم ترك ذلك وصام صيام أخيه داود عليه السلام يوما لله ويوما له ما شاء الله ثم ترك ذلك فصام الاثنين والخميس ما شاء الله، ثم ترك ذلك وصام البيض ثلاثة أيام من كل شهر، فلم يزل ذلك صيامه حتى قبضه الله إليه»[٤٦]. وجاء في كتاب الخصال للشيخ الصدوق عن «ابن موسى، عن الأسدي، عن النخعي، عن النوفلي، عن علي بن أبي حمزة، عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عما جرت به السنة في الصوم من رسول الله ﷺ قال: ثلاثة أيام في كل شهر: خميس في العشر الأول، وأربعاء في العشر الأوسط، وخميس في العشر الأخير، يعدل صيامهن صيام الدهر، يقول الله عز وجل: ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾، فمن لم يقدر عليها لضعف فصدقة درهم أفضل له من صيام يوم»[٤٧].

وورد عن الإمام الرضا عليه السلام قوله: «فلم جعل في كل شهر ثلاثة أيام في كل عشرة أيام يوما ؟ قيل: لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾؛ فمن صام في كل عشرة أيام يوما فكأنما صام الدهر كله، وكما قال سلمان المحمدي: «صوم ثلاثة أيام في الشهر صوم الدهر كله، فمن وجد شيئا غير الدهر فليصمه».

فإن قال: «فلم جعل أول خميس من العشر الأول، وآخر خميس في الشهر وأربعاء في العشر الأوسط ؟ قيل: أما الخميس فإنه قال الصادق ﷺ: يعرض كل خميس أعمال العباد على الله فأحب أن يعرض عمل العبد على الله تعالى وهو صائم، فإن قال: فلم جعل آخر خميس؟ قيل: لأنه إذا عرض عمل ثمانية أيام والعبد صائم كان أشرف وأفضل من أن يعرض عمل يومين وهو صائم، وإنما جعل أربعاء في العشر الأوسط لأن الصادق ﷺ أخبر أن الله (عزّوجل) خلق النار في ذلك اليوم، وفيه أهلك الله القرون الأولى، وهو يوم نحس مستمر فأحب أن يدفع العبد عن نفسه نحس ذلك اليوم بصومه»[٤٨]. وعن ابن مسرور، عن ابن عامر، عن عمه، عن ابن أبي عمير، عن حماد، عن الحلبي أنه سأل أبا عبد الله ﷺ عن الصوم في الحضر «فقال: ثلاثة أيام في كل شهر: الخميس من جمعة، والأربعاء من جمعة، والخميس من جمعة، فقال له الحلبي: هذا من كل عشرة أيام يوم؟ قال: نعم»، وقال أمير المؤمنين ﷺ: «صيام شهر رمضان وثلاثة أيام في كل شهر يذهبن ببلابل الصدر، إن صيام ثلاثة أيام في كل شهر [يعدل] صيام الدهر، إن الله (عزوجل) يقول: ﴿ مَن جَاء بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾»[٤٩].

وجاء في كتاب الكافي للشيخ الكليني: «روي عن الصادق ﷺ أن آخر خميس من الشهر ترفع فيه الأعمال، وهذا الحديث ذكره جدي أبو جعفر الطوسي ورويته أيضا بإسنادي إلى جدي أبي جعفر الطوسي، عن أحمد بن عبدون، عن الحسين بن علي بن شيبان القزويني من كتابه كتاب علل الشريعة. أقول: ولعل قائلا يقول: إن كل يوم اثنين وخميس من كل أسبوع ترفع فيه أعمال العباد فما وجه هذه الأحاديث في تخصيصها الخميس الآخر من الشهر وهي صحيحة الإسناد؟ والجواب أن الأعمال تعرض عرضا في آخر خميس في الشهر بعد عرضها في كل يوم اثنين وخميس، فيكون العرض الأول عرضا خاصا من غير كشف للملائكة وأرواح الأنبياءﷺ في الملأ الأعلى بل بوجه مستور عنهم، ثم يعرض أعمال كل الشهر آخر خميس فيه عرضا عاما بتفصيل أعمال الشهر عن جملتها أو على وجه مكشوف للروحانيين وإظهار ملك الأعمال على صفتها لأن العرض للأعمال ما هو جنس واحد على التحقيق، من كل طريق، لأن الملكين الحافظين بالنهار يعرضان عمل العبد في نهاره كما يختصان به، وملكي الليل يعرضان ما يعمله العبد في ليله كما ينفردان به. وأقول: لو أن ملكا استعرض كل يوم عمل صانع من المصنوعات في شهر ثم لما تكملت تلك الأعمال عرضها عليه آخر الشهر دفعة واحدة، لم يعد جاهلا بل حكيما لأن عرضها جملة إما لنفع صانعها وإظهار حذفه، إن كان أعماله من المرضيات، وإما لضرورة وإظهار عدم معرفته، إن كانت أعماله من المسخطات وليكون الملك أعذر في مؤاخذة الصانع وعدمها»[٥٠]. فجميع هذه الأحاديث عن رسول الله ﷺ والأئمة الأطهارﷺ والأحاديث الواردة في صحيح البخاري ومسلم لا تشير من قريب أو بعيد إلى رؤية المستشرق روبين التوراتية، فالصيام في الإسلام هو من المبادئ الإسلامية المتأصلة.

وفي المؤلفات السنيّة كصحيح البخاري وصحيح مسلم والمساند والطبري وابن عساكر وابن كثير وغيرهم يتفق عدد منها على أن رسول الله ﷺ كان معتادا على صوم يوم الاثنين من كل أسبوع، فقد روى مسلم في الحديث رقم (١١٦٢) عَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) المتوفى سنة ٥٤ هجرية أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ سُئِلَ عَنْ صَوْمِ الِاثْنَيْنِ فَقَالَ: (فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ أُنْزِلَ عَلَيَّ) وقيل في رواية مماثلة عن مسلم: (فِيهِ وُلِدْتُ ويوم أنزلت عليّ فيه النبوة)، وعن عبد الله بن معبد الزماني عن أبي قتادة أيضا أن رجلا سأل النبي ﷺ عن صوم يوم الاثنين قال: (فيه ولدت وفيه أوحي إلي)، وعَنْ أَبِي قَتَادَةَ الْأَنْصَارِيِّ (أن بلالا سأل رسول الله ﷺ عَنْ صَوْمِ الاثْنَيْنِ، فَقَالَ: ذَلِكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ- أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ)[٥١].

وثالثا:

وفي الوقت الذي يصرّ فيه المستشرق على التأثير التوراتي بالنسبة إلى اليوم والشهر الذي ولد فيه رسول الله ﷺ زاعما أنهم -أي المسلمين- لما عرفوا بيوم ولادة النبي موسى ﷺ، يوم الاثنين وفي شهر ربيع الأول، عند اليهود أدر أو آدار، اقتبسوا هذين التاريخين وبدّلوا شهر أدر إلى ما يقابله في التقويم الإسلامي وهو شهر ربيع الأول شهر التجدد والرخاء. أقول للمستشرق: إن رواة السيرة النبوية المطهرة ومؤرخيها واقعا اتفقوا على ولادة نبينا ﷺ في يوم الاثنين وجعلوا هذا اليوم يوما لولادته ﷺ وهو يوم بعثته ويوم تلقيه الوحي بالقرآن الكريم وهو يوم هجرته إلى المدينة المنورة وهو اليوم الذي انتقل فيه إلى جوار ربّه الأعلى، لكن هذا لا يمنع من ظهور آراء لتواريخ أخرى مختلفة في اليوم والشهر على حدّ سواء.

فهناك الرواية الشيعية التي أرجعها الرواة الشيعة إلى الإمام الصادق ﷺ وهذه بحسب السلسلة السندية الذهبية ترجع إلى الإمام علي بن أبي طالب ﷺ، فهي تكون -على الأرجح- الصحيحة. ويلخص هذه الروايات الشيعية العلامة المجلسي في كتابه «بحار الأنوار» الجزء ١٥ بدءا من صفحة ٢٤٨، فيقول: «إعلم أنه اتفقت الإمامية إلا من شذّ منهم على أن ولادته ﷺ في سابع عشر شهر ربيع الأول، وذهب أكثر المخالفين إلى أنها كانت في الثاني عشر منه، واختاره الكليني (رحمه الله) على ما سيأتي إما اختيارا أو تقية». ويستمر العلامة المجلسي في قوله: «فأما يوم الولادة فالمشهور بين علمائنا ومدلول أخبارنا أنه كان يوم الجمعة، والمشهور بين المخالفين يوم الاثنين، ثم الأشهر بيننا وبينهم أنه ﷺ ولد بعد طلوع الفجر، وقيل: عند الزوال، وذكر جماعة من المؤرخين وأرباب السير أنه كان في ساعة الولادة غفر الشمس في الحمل في الشرف، والزهرة في الحوت في الشرف، والعطارد أيضا في الحوت، والقمر في أول الميزان، والرأس في الجوزاء، والذنب في القوس». وهاهنا

يضيف اليعقوبي في تاريخه الخصائص الفلكية لميلاد رسول الله ﷺ، ولم يرد ذكرها **في المصادر التوراتية بخصوص ولادة رسول الله ﷺ على العكس من رؤية المستشرق روبين**، فقال اليعقوبي: «وولد على ما قال أصحاب الحساب بقران العقرب، قال ما شاء الله المنجم: كان طالع السنة التي كان فيها القران الذي دل على مولد رسول الله ﷺ الميزان اثنين وعشرين درجة حد الزهرة وبيتها، والمشتري في العقرب ثلاث درجات وثلاثا وعشرين دقيقة، وزحل في العقرب ست درجات وثلاثا وعشرين دقيقة راجعا، وهما في الثاني من الطوالع، والشمس في نظير الطالع في الحمل أول دقيقة، والزهرة في الحمل على درجة وست وخمسين دقيقة، وعطارد في الحمل على ثماني عشرة درجة وست عشرة دقيقة، والقمر وسط السماء في السرطان درجة وعشرين دقيقة، وقال الخوارزمي: ثماني عشرة درجة وست عشرة وست عشرة دقيقة، والقمر وسط السماء في السرطان درجة وعشرين دقيقة، وقال الخوارزمي: كانت الشمس يوم ولد في الثور درجة والقمر في الأسد على ثماني عشرة درجة وعشر دقائق، وزحل في العقرب تسع درجات وأربعين دقيقة راجعا، والمشتري في العقرب درجتين وعشر دقائق راجعا، والمريخ في السرطان درجتين وخمسين دقيقة، والزهرة في الثور اثنتي عشرة درجة وعشر دقائق». علما أن محمد بن اسحاق في سيرته قد أورد رواية قال حدثه فيها الإمام أبو جعفر محمد بن علي ﷺ «ان يوم الفرقان الذي التقى فيها رسول الله بالمشركين في بدر كان يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من رمضان وليس يوم الاثنين». وعلى الرغم من أن الإمام ﷺ لم يشر إلى أنه يوم نزول الوحي، فالإمام هنا يصحح فقط ما ورد بشأن معركة بدر على أنها وقعت صبيحة يوم الاثنين، وبحسب روايته ﷺ فقد أتى الوحي يوم الاثنين بالرسالة لسبع عشرة خلت من شهر رمضان وقيل في الرابع والعشرين منه. وعنه ﷺ برواية عبيد بن عمير كان نزول الوحي يوم الاثنين وقيل من شهر ربيع الأول[٥٢]. وذكر شيخنا المفيد في كتاب حدائق الرياض أنها كانت في السابع عشر منه مولد سيدنا رسول الله ﷺ عند طلوع الفجر من يوم الجمعة عام الفيل، وقال رحمه الله في كتاب التواريخ الشرعية: نحوه، وفي كتابه الكافي «ولد النبي ﷺ لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال»[٥٣]. وذكر الشيخ الطبرسي في كتابه[٥٤] عن مولده ونسبه إلى آدم ﷺ ووقت وفاته: ولد ﷺ يوم الجمعة عند طلوع الشمس السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام الفيل. ينظر الفصل الأول من الركن الأول ص ١٣.

أمّا بحسب الروايات السنية فقد ولد رسول الله ﷺ يوم الاثنين، ثم اختلفوا في أي من الأثانين، فمن قائل لليلتين من شهر ربيع الأول، ومن قائل يقول لعشر ليالٍ خلون، ينظر إعلام الورى بأعلام الهدى الفصل الأول

من الركن الأول ص ١٣؛ وبحسب الطبرسي «وذلك لأربع وثلاثين سنة وثمانية أشهر مضت على ملك كسرى أنو شيروان بن قباد وهو قاتل مزدك والزنادقة ومبيرهم وهو الذي عنى رسول الله ﷺ بحسب ما يزعم أنصار هذا الرأي في حديث لرسول الله ﷺ قال: (ولدت في زمان الملك العادل الصالح)». ويقف العلامة المجلسي على الموضوع نفسه فيقول: «وذهب شاذ من المخالفين من أهل السنة إلى أنه ولد في شهر رمضان، لأنهم اتفقوا على أن بدء الحمل به ﷺ كان في عشية عرفة، أو أوسط أيام التشريق، واشتهر بينهم أن مدة الحمل كانت تسعة أشهر، فيلزم أن تكون الولادة في شهر رمضان، وذهب شرذمة منهم إلى أن الولادة كانت في الثامن من ربيع الأول». وشخص المقريزي المتوفى سنة ٨٤٥ هجرية في كتابه إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمد عبد الحميد النميسي جزء ١ ص ٦-٧، أقوال العامة في ولادته ﷺ فقال: «ولد النبي محمد ﷺ بمكة في دار عرفت بدار ابن يوسف من شعب بني هاشم يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، وقيل: لليلتين خلتا منه، وقيل: ولد ثالثه، وقيل: في عاشره، وقيل: في ثامنه، وقيل: ولد يوم الاثنين لاثنتي عشرة مضت من شهر رمضان حين طلع الفجر، وقد شذّ بذلك الزبير بن بكار. وقيل: في صفر وقيل: في يوم عاشوراء وقيل: في ربيع الآخر»[٥٥].

إذن، كيف يستطيع البروفسور أوري روبين اختيار وقت الولادة ليجعله الوقت الذي هو من تأثير الرواية التوراتية اليهودية ؟! .

هوامش البحث

(١) See William Montgomery Watt; Muhammad at Medina (Oxford University Press, 1956 ,p.324); See also Muhammad and the Conquests of Islam. Paperback –January, 1968 by Gabrieli, Francesco. فرانشسكو غبريلي، محمد والفتوحات الإسلامية (١) المركز الأكاديمي للأبحاث ترجمة وتحقيق: د.عبد الجبار ناجي

(٢) ينظر The Independent. Retrieved 1 June 2016. تعتبر سيرة وات الشاملة للنبي ﷺ في كتابيه محمد في مكة (١٩٥٣) ومحمد في المدينة (1956).

(٣) Muslim-Christian Encounters: Perceptions and Misperceptions ; Hillenbrand, Carole (8 November 1991) A Christian و (2006). “Professor W. Montgomery Watt”. The Independent. Retrieved 1 June 2016. Faith For Today (2002).

(٤) . slamic Surveys: The Influence of Islam on Medieval Europe (1972)

(٥) Wikipedia, the free encyclopedia Prof. Uri Rubin’s Web Site

(٦) Prof. Uri Rubin’s Web Site.

(٧) of the Beholder: The Life of Muhammad as Viewed by the Early Muslimsby Uri Rubin Uri Rubin The Eye ; the Darwin Press,1995 ,P.21-22

رودولف زيلهايم (ولد في ١٥ يناير ١٩٢٨ في هالي (سالي)، وتوفي في ٩ آذار ٢٠٠٣ في فرانكفورت) كان منذ سنة 1956 إلى 1995 أستاذًا للدراسات الشرقية ومديرًا (1993–1958) للندوة الشرقية في جامعة يوهان فولفغانغ غوته في فرانكفورت. منذ عام ١٩٩٤، كان عضوًا متطابقًا في أكاديمية العلوم البافارية. وكان عضوا كامل العضوية في المعهد الأثري الألماني ومن ١٩٦٨ إلى ٢٠٠٣ رئيس الجمعية الدولية للبحوث الشرقية، اسطنبول

(٨) See Theodor Noldeke ;Geschite des Qura’n (Gottingen Verlag der Dietichschen,Buchhandlung,1860);) Morteza Karimi-Nia ;” The Historiography of the Qura’n in theMuslim World : The influence of Theodor Noldeke” in Journal of Qura’nic Studies(15,1.(2013) ,Edinburgh University Press.Pp.46-68.; Abraham Geiger ; Judaism and Islam (Trans. By F.M.Young ,New York 1970 ,introduction P. V111

(٩) Was hat Mohammad aus dem Gudenthume aufgemommen?

(١٠) Preface P.V11). Judasim and Islam F.M.Young

(١١) A. Geiger, Judaism and Islam, trans. by F.M. Young , Madras, 1898,(Preface p.V11); Abraham Geiger and the Jewish Jesus by Susannah Heschel (1998), which - 171 -chronicles Geiger’s radical contention that the New Testament illustrates Jesus was a Pharisee teaching Judaism; Wikipedia, the free encyclopedia(Preface , p.V1- V11

Borrow from Judaism? in I.Warraq ed. A. Geiger, What did Muhammad The Origins of the Koran, Amherst: Prometheus Books, 1998. p172; (84); Was hat aufgemommen? 60-89 Jud.and Islam Pp.45-70

(١٢) Preface P.V11). Judasim and Islam F.M.Young ; Geiger, Judaism and Islam, trans. by F.M. Young, Madras, 1898, (Preface p.V11); Abraham Geiger and the Jewish Jesus by Susannah Heschel (1998).

(١٣) Was hat aufgemommen? 60-89 Jud.and Islam Pp.45-70.

١٤)(ينظر مقدمة الترجمة الإنجليزية) Preface; P.V1(

١٥) Max Wiener Geiger and Liberal Judaism, The Challenge of the Nineteenth Century (Eng. translation by Ernst J. Schlochauer) Philadelphia:The Jewish PublicationSociety of America, 1962; N. A. Stillman, "The Story Of Cain & Abel In The Qur'an And The Muslim Commentators: Some Observations", Journal Of Semitic Studies, 1974, op. cit., p. 231;M S M Saifullah, Mansur Ahmed & Elias Karim ,Islamic Awareness. First Composed:15th August 1998 Last Updated: 5th March 2006.F. F.de Blois, "Review of Ibn Warraq's The Origins Of The Koran: Classic Essays OnIslam's Holy Book", Journal Of The Royal Asiatic .Society, 2000, Volume 10, Part 11, p.88

١٦) Uri Rubin ; the Eye of beholder . P. 4

١٧)مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: الأرناؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة؛ أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي أبو بكر؛ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الطبعة الثالثة، الرسالة ١٤١٦ – ١٩٩٦، جزء ٢ ص ٢٢٨؛ الحافظ الهيثمي المتوفى في سنة ٨٠٧ هجرية؛ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.

١٨) ينظر صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، سنة النشر: ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، جزء ٢ ص ٩٥٤.

١٩) سيرة ابن هشام ص ٤٠٤ – ٤٠٧ .

٢٠) ينظر ابن أبي شيبة، المصنف ٦/ ٢٢٨ .

٢١) البخاري: باب خاتم النبيين ٣٣٤٢، ومسلم: كتاب الفضائل، باب كونه خاتم النبيين (حديث ٢٢٨٦) .

٢٢) البخاري عن أبي هريرة: كتاب المناقب، باب خاتم النبيين (٣٣٤٢)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب كونه خاتم النبيين (٢٢٨٦) .

٢٣) البخاري عن أبي سعيد الخدري: كتاب الديات، باب إذا لطم المسلم يهوديا عند الغضب (٦٥١٩). [البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (الصافات: ١٣٩) (٣٢٣٣). ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى٢٣٧٣.

٢٤(البخاري عن أبي بن كعب: كتاب العلم، باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله (١٢٢)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل الخضر (٢٣٨٠). البخاري عن عبد الله بن عباس: كتاب الصوم، باب صيام يوم عاشوراء (١٩٠٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء (١١٣٠).

٢٥) البخاري عن أبي هريرة: كتاب الأنبياء، باب قوله: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (الحجر: ٥١) (٣١٩٢)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ١٥١ .

٢٦) ينظر ابن النديم؛ فهرست ابن النديم، طبعة طهران ص ٣٥٤ القفطي؛ إخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبعة في مطبعة السعادة في مصر سنة ١٣٢٦ هجرية، عني بتصحيحه محمد أمين الخانجي ص ١٥٥.

٢٧) Spier, Arthur (1986), The Comprehensive Hebrew Calendar, Feldheim Publishers.

٢٨) الجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٦٧، ٦٨ سنن الترمذي (الجامع الكبير) المؤلف: الترمذي أبو عيسى، المحقق: بشار عواد معروف، حالة الفهرسة: غير مفهرس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، سنة النشر: ١٩٩٦؛ السنن الكبرى (سنن البيهقي الكبرى) (ط. العلمية)، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي أبو بكر، المحقق: محمد عبد القادر عطا، حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة، الناشر: دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٤ – ٢٠٠٣ ج٦ ص٢١١، والسيرة النبوية، المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، المحقق: مصطفى عبد الواحد، الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت، سنة النشر: ١٣٩٥ – 1976، ج3 ص176.

٢٩) الترمذي في كتابه الجامع الكبير.

٣٠) ينظر المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، 1417 هجرية، الجزء الأول ص ٢٠٥ – ٢١١ .

٣١) THE Antiquities of the Jews; CHAPTER 9. Concerning The Afflictions That Befell The Hebrews In Egypt,

During Four Hundred Years. Flavius Josephus

٣٢) Antiquities of the Jews ؛Flavius Josephus; Translator: William Whiston; Release Date: January 4, 2009
Flavius Josephus; Translator: William Whiston; Release Date: January 4, 200

٣٣) ينظر المرزوقي؛ الأزمنة والأمكنة، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هجرية، الجزء الأول ص ٢٠٥ – ٢١١، أبو الريحان البيروني؛ الآثار الباقية عن القرون الخالية ص ٦٠ –٦١.

٣٤) المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به: كمال حسن مرعي، بيروت، ٢٠٠٥، جزء٢ ص ١٥٨؛ أبو محمد عبدالله بن جعفر بن محمد المشهور بابن درستويه؛ كتاب الكتّاب، نشر الأب لويس شيخو، بيروت، ١٩٢١، ص ٩٠–٩١.

٣٥) ينظر المرزوقي: الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ص١٢٦، ٢٠٦، ٢١٠؛ المسعودي؛ مروج الذهب ومعادن الجوهر، اعتنى به: كمال حسن مرعي، بيروت، ٢٠٠٥ جزء٢ ص١٥٨؛ أبو محمد عبد الله بن جعفر المشهور بابن درستويه، كتاب الكتّاب، نشر لويس شيخو، بيروت، ١٩٢١، ص ٩٠–٩١؛ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي ص ٦٠.

٣٦) المسعودي، مروج الذهب، جزء ١ ص ٢٤٩؛ البيروني ص ٣٨–٣٩؛ دكتور جواد علي؛ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جزء ١ ص ٥١٠٤.

٣٧) الآثار الباقية ص٦٠.

٣٨) ابن درستويه، كتاب الكتّاب ص ١٤٩–١٥٠؛ البيروني، الآثار الباقية ص٦٠ .

٣٩) الآثار الباقية ص ٦٢ .

٤٠) صحيح البخاري المصدر السابق .

٤١) سفر اللاويين Leviticus وهو يتألف من ٢٧ فصلا، الفصل ٢٣: ٢٦ و ٣٢.

٤٢) هامش سفر استير .. ix. 31; comp. iv. 3, 16

٤٣) هامش سفر . Soferim xvii. 4, xxi. 2

٤٤) ابن عساكر؛ مختصر تاريخ دمشق (السيرة النبوية)، (تحقيق: روحية النحاس، طبعة دار الفكر ١٩٨٤)، جزء٢ ص ٣٤ .

٤٥) قرب الإسناد؛ أبو العباس عبد الله بن جعفر الحميري من أعلام القرن الثالث الهجري، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ص ٥٠.

٤٦) م.ن. ص٥٩ .

٤٧) الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي الحسين بن بابويه القمي، الناشر: قم، تاريخ النشر: ١٤٢٤، جزء ١ ص ٧٧.

٤٨) أمالي الصدوق ص ٩٤ .

٤٩) الشيخ الصدوق؛ كتاب عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج ٢ ص ١١٨ . المجلسي؛ بحار الأنوار جزء ٩٤ من صفحة ٩٢ إلى صفحة ١٠٩.

٥٠) الكافي للشيخ الكليني المتوفى في سنة ٣٢٩ هجرية، الجزء: ١، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، الطبعة: الخامسة، سنة الطبع ١٣٦٣هجري، جزء ٤ ص ١٤٤؛ المجلسي؛ بحار الأنوار، المكتبة الشيعية، جزء ٩٤ ص١٠٧.

٥١) صحيح البخاري (ط. دار ابن كثير) المؤلف: محمد بن إسماعيل البخاري أبو عبد الله، حالة الفهرسة: مفهرس فهرسة كاملة، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، سنة النشر: ١٤٢٣ – ٢٠٠٢.

٥٢) ابن كثير، السيرة النبوية الشريفة ج ١ ص٣٢٩، البداية والنهاية ج ٣ ص١٠. م.ن. جـ٢ ص٣٩ ؛ ابن سيد الناس، عيون الأثر ج١ ص١١٩.

٥٣) المجلسي؛ بحار الأنوار جزء ١٥ ص ٢٥٠.

٥٤) إعلام الورى بأعلام الهدى، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، بيروت، دار المعرفة ١٩٧٧ مع الهامش جزء ١ ص ٤٢.

٥٥) إمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وآله من الأحوال والأموال والحفدة المتاع؛ المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي تقي الدين، المحقق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، سنة النشر: ١٤٢٠ – ١٩٩٩، ص ٦–٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

_ ابن النديم، فهرست ابن النديم. طبعة طهران .

_ ابـن درسـتويه، محمـد عبـد الله بـن جعفـر . ١٩٢١. كتـاب الكتّـاب. نـشر لويـس شـيخو. بـيروت.

_ ابـن عسـاكر، ١٩٨٤. مختـصر تاريـخ دمشـق (السـيرة النبويـة). تحقيـق: روحيـة النحـاس. طبعـة دار الفكـر

_ ابن كثير، السيرة النبوية الشريفة.

_ أبـو بكـر، أحمـد بـن الحسـين بـن عـلي بـن موسـى البيهقـي. ١٤٢٤ -٢٠٠٣. السـنن الكبرى (سـنن البيهقـي الكبـرى). (ط. العلمية). المحقـق: محمـد عبـد القـادر عطـا. حالـة الفهرسـة: مفهـرس فهرسـة كاملـة. النـاشر: دار الكتـب العلميـة.

_ الآثار الباقية.

_ الأرنـاؤوط وآخـرون (تحقيـق)، مسـند الإمـام أحمـد بـن حنبـل. مؤسسـة الرسـالة. أبـو بكـر، أحمـد بـن عـلي بـن ثابـت الخطيـب البغـدادي. الرسـالة ١٤١٦ -١٩٩٦ .ط٣. الجامـع لأخـلاق الـراوي وآداب السـامع.

_ البخـاري، أبـو عبـد الله محمـد بـن إسـماعيل. ١٤٢٣- ٢٠٠٢. صحيـح البخـاري (ط. دار ابـن كثـير) .حالـة الفهرسـة: مفهـرس فهرسـة كاملـة. النـاشر: دار ابـن كثـير. دمشـق- بـيروت.

_ البيروني، أبو الريحان . الآثار الباقية عن القرون الخالية .

_ الترمـذي، أبـو عيسـى. ١٩٩٦. الجامـع الصحيـح للترمـذي: سـنن الترمـذي (الجامـع الكبـير). المحقـق: بشـار عـواد معـروف. حالـة الفهرسـة: غـير مفهـرس. النـاشر: دار الغـرب الإسـلامي.

_ الجعفي، محمد بن إسماعيل البخاري. سنة النشر: ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م. صحيح البخاري. دار ابن كثير.

_ الحميـري، أبـو العبـاس عبـد الله بـن جعفـر (مـن أعـلام القـرن الثالـث الهجـري). قـرب الإسـناد. تحقيـق: مؤسسـة آل البيـت (عليهـم السـلام) لإحيـاء الـتراث.

_ الصدوق، كتاب عيون أخبار الامام الرضا (عليه السلام).

_ محمـد .byGabrieli, Francesco غبريلـي، فرانشسـكو والفتوحـات الإسـلامية (١): المركـز الأكاديمي للأبحـاث. ترجمة .وتحقيـق: أ.د.عبـد الجبـار ناجـي

_ الغفـاري، عـلي أكـبر (تصحيـح وتعليـق)، ١٩٧٧. إعـلام الـورى بأعـلام الهـدى. بـيروت. دار المعرفـة.

_ القـرشي الدمشـقي، أبـو الفـداء عـماد الديـن إسـماعيل بـن عمـر بـن كثـير. ١٣٩٥ -١٩٧٦. السـيرة النبويـة. المحقـق: مصطفـى عبـد الواحـد. دار المعرفـة للطباعـة والنـشر . بـيروت.

_ القفطي، سـنة ١٣٢٦ هـ. إخبـار العلـماء بأخبـار الحكـماء. مطبعـة السـعادة مـصر. عنـي بتصحيحـه محمـد أمـين الخانجي.

_ الكلينـي (المتـوفى في سـنة ٣٢٩ هـ)، ١٣٦٣هـ. الـكافي .ط٥. تصحيـح وتعليـق: عـلي أكـبر الغفـاري.

_ المرزوقـي، ١٤١٧ هـ. الأزمنـة والأمكنـة. ط١.المحقـق: خليـل منصـور. دار الكتـب العلميـة. بـيروت.

_ المسـعودي، ٢٠٠٥. مـروج الذهـب ومعـادن الجوهـر. اعتنـى بـه: كـمال حسـن مرعـي. بـيروت.

_ المقريـزي، تقـي الديـن أحمـد بـن عـلي بـن عبـد القـادر بـن محمـد. ١٤٢٠ -١٩٩٩.إمتـاع الأسـماع بـما للنبـي (صـلى الله عليـه وآلـه) مـن الأحـوال والأمـوال والحفـدة المتـاع. المحقـق: محمـد عبـد الحميـد النميـسي. دار الكتـب العلميـة.

_-الهيثمي، الحافظ. المتوفى في سنة ٨٠٧ هـ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.

_Muslim-Christian Encounters: Perceptions and Misperceptions ; Hillenbrand, Carole (8 November 2006). «Professor W. Montgomery Watt». The Independent. Retrieved 1 June 2016. A Christian (1991) و Faith For Today (2002.

_ of the Beholder: The Life of Muhammad as Viewed by the Early Muslimsby Uri Rubin Uri Rubin ; The Eye ; the Darwin Press,1995

_ Theodor Noldeke ;Geschite des Qura'n (Gottingen Verlag der Dietichschen,Buchhandlung,1860);)Morteza Karimi-Nia ;" The Historiography of the Qura'n in theMuslim World : The influence of Theodor Noldeke" in Journal of Qura'nic Studies(2013).15,1) ,Edinburgh University Press.Pp.-46.; Abraham Geiger ; Judaism and Islam (Trans. By F.M.Young ,New York 1970 ,introductio

_Wikipedia, the free encyclopedia Prof. Uri Rubin›s Web Site;

_William Montgomery Watt; Muhammad at Medina (Oxford University Press, 1956

_Antiquities of the Jews؛ Flavius Josephus; Translator: William Whiston; Release Date: January 2009 ,4 Flavius Josephus; Translator: William Whiston; Release Date: January 200 ,4

_ also Muhammad and the Conquests of Islam. Paperback –January, 1968

_A. Geiger, Judaism and Islam, trans. by F.M. Young , Madras, 1898,(Preface p.V11); Abraham Geiger and the Jewish Jesus by Susannah Heschel (1998), which - 171 -chronicles Geiger›s radical contention that the New Testament illustrates Jesus was a Pharisee teaching Judaism; Wikipedia, the free encyclopedia(Preface ,

_Borrow from Judaism? in I.Warraq ed. A. Geiger, What did Muhammad The Origins

_of the Koran, Amherst: Prometheus Books, 1998. p;172 84)); Was hat aufgemommen? 89-60 Jud.and Islam

_Preface P.V11). Judasim and Islam F.M.Young ; Geiger, Judaism and Islam, trans. by F.M. Young, Madras, 1898, (Preface p.V11); Abraham Geiger and the Jewish Jesus by Susannah Heschel (1998).

_slamic Surveys: The Influence of Islam on Medieval Europe (1972) .

_Spier, Arthur (1986), The Comprehensive Hebrew Calendar, Feldheim Publishers.

_THE Antiquities of the Jews; CHAPTER 9. Concerning The Afflictions That Befell The Hebrews In Egypt, During Four Hundred Years. Flavius Josephus.

_The Independent. Retrieved 1 June 2016.